# تراجم من
# كتاب
# المقفى الكبير للمقريزي

obeikandl.com

-١١٨٢٧-

# الامام الظافر بأمر الله الفاطمي

إسماعيل بن عبد المجيد بن محمد بن معد بن علي بن منصور بن نزار ابن معدّ بن إسماعيل بن محمد بن عبيد الله، الإمام الظافر بأمر الله، أبوالمنصور، أمير المؤمنين، ابن الحافظ لدين الله أبي الميمون، ابن الأمير أبي القاسم، ابن الظاهر، ابن الحاكم، ابن العزيز، ابن المعزّ، ابن المنصور، ابن القائم، ابن المهديّ.

ولد يوم الأحد نصف ربيع الآخر سنة سبع وعشرين وخمسمائة، وبويع بالخلافة بعد موت أبيه يوم الأحد خامس جمادى الآخرة سنة أربع وأربعين وخمسمائة، وعمره سبع عشرة سنة وأربعة أشهر وعشرة أيّام، بعهدٍ من أبيه. وكان أصغر إخوته، ولقّب بالظافر بالله. واستوزر الأمير نجم الدين أبا الفتح سليم بن محمد بن مصال. فخرج عليه الأمير المظفّر أبو الحسن عليّ بن إسحاق ابن السلار واستولى على الوزارة إلى أن قتل.

فقام من بعده بأمر الدولة المظفّر أبو نصر عبّاس ابن أبي الفتوح، وكان الظافر قد اختصّ بولده ناصر الدين بن عبّاس وأتُهم به. فأنكر عليه أبوه مايقال في حقّه. فأراد البراءة ممّا رمي به، وسأل الظافر أن يأتيه ليلة ليتفسّحا. فنزل إليه في ليلة الخميس سلخ المحرّم سنة تسع وأربعين وخمسمائة وهو متنكرّ، ومعه خادمان. فقتله ورماه في جبّ، ومعه أحد الخادمين، وغطّاه برخامة بيضاء. وفر الخادم الآخر إلى القصر، فكانت مدّته أربع سنين وسبعة أشهر وأربعة عشر يوماً. وعمرُه إحدى وعشرون سنة وعشرة أشهر تنقص خمسة أيام.

وكان محكوماً عليه من الوزراء، وفي خلافته ملك الفرنج عسقلان، وظهر الخلل في الدولة، وكان كثير اللهو واللعب مع جواريه، مقبلاً على سماع الغناء.

وأنشأ الجامع الظافريّ بالقاهرة، المعروف بجامع الفكّاهين بخطّ الشّوائين. وقام في الخلافة بعده ابنه الفائز بنصر الله أبو القاسم عيسى.

obeikandl.com

# أيوب بن شاذي

أيوب بن شاذي بن مروان بن يعقوب، الملك الرحيم الأفضل ابن شاذي بن مروان، من أبناء أعيان دوين،وكان بينه وبين جمال الدولة المجاهد بهروز صحبة. فاتفق أنّ بهروز أتهم بزوجة بعض أمراء دُوَيْن فخصَاه. فخرج منها واتصل بالالا أولاد السلطان غياث الدين مسعود السلجوقيّ. واختص به وصار يركب مع أولاد السلطان. فرآه السلطان يوماً مع أولاده فأنكره فقال اللالا: إنّه خادمٌ مثلي.

ثم صار يسيّره إلى السلطان فخفّ على قلبه، ولعب معه الشطرنج والنرد، وكان من أظرف الناس، فحظيّ عنده. ومات اللالا فأقامه مكانه. فاشتهر ذكره . واستدعى شاذي بن مروان، فلمّا قدم عليه أكرمه.

ثم إنّ السلطان بعث بهروز والياً ببغداد ونائبا عنه، فسار معه شاذي وأولاده. وكانت تكريت قد أعطاها السلطان لبهروز فأرسل إليه شاذي، فأقام بها مدّة ومات. فوليَ ابنُه نجم الدين أيوب عوضَه فنهض في أمرها وشكره بهروز.

فاتفق أنّ عماد الدين زنكي صاحب الموصل لمَّا قصد حصار بغداد أيام الخليفة المسترشد بالله الفضل بن أحمد المستظهر بالله. وكان من محاربة المسترشد ماكان وانهزام عماد الدين وعبوره على تكريت. خدَمه نجم الدين أيوب وأقام له السفن حتى عبر دجلة، وتبَعه أصحابه فأحسن إليهم وسيّرهم. فبلغ ذلك بهروز فأنكر على نجم الدين وقال: كيف نظفر بعدّونا ونحسن إليه؟

واتفق مع ذلك أن أسد الدين شيركوه أخا نجم الدين أيوب أتته امرأة باكية وذكرت أنّ فلاناً الاسفسهلار تعرّض لها وهي داخلة في باب القلعة، فقام وضرب الإسفسهلار بحربة قتله، فأمسكه نجم الدين

واعتقله وكتب يُعلم بهروز بخبره. فعاد جوابُه:«إنّ لأبيكما شاذي عليّ حقاً. ومايُمكنني أن أكافِئكما بسوء، ولكن أتُركا خدمتي واخرُجا من بلدي».

فخرج أيوب وشيركوه من تكريت وقصدا عماد الدين زنكي بن آق سنقر صاحب الموصل، فأحسن إليهما وأقطعهما إقطاعاً جيداً. ومازالا في خدمته إلى أن ملك قلعة بعلبك، فاستخلف بها نجم الدين أيوب، فأقام بها وعمَّر بها الخانقاه النجميَّة.

فلما قُتل عماد الدين زنكي، وحصر مجير الدين آبق صاحب دمشق بعلبك ضاق الأمر على نجم الدين ولم تأته نجدة من أولاد عماد الدين زنكي، سلّم آبق قلعة بعلبك على إقطاع ذكره بعدما حلف له، وانتقل إلى دمشق بأولاده وتسلّم الإقطاع والمال، وقدّمه إلى آبق وعمله من أكبر الأمراء.

واتصل أخوه شيركوه بنور الدين محمود بن زنكي وخدمه في أيام أبيه فحظي عنده، وجعله بعد موت أبيه مقدّم عسكره بحلب، إلى أن ملك دمشق. فأقرّ أيوب وشيركوه بخدمته. وبعث شيركوه إلى مصر نجدةً لشاور كما ذكر في ترجمتهما. فتوّجه صلاح الدين يوسف بن أيوب في خدمة عمّه أسد الدين شيركوه إلى مصر، وكان من تمَلّك شيركوه مصر، ثمّ تمَلّك صلاح الدين يوسف بعدَه إلى أيّام الخليفة العاضد لدين الله ماكان.

فاستدعى أباه نجم الدين أيوب من دمشق، فجهّزه إليه نور الدين محمود في سنة خمس وستين وخمسمائة. وخرج العاضد فتلقّاه عند شجرة الإهليلج خارج باب الفتوح، وأقطعه: الإسكندرية، ودمياط، والبحيرة، وأقطع ابنه شمس الدولة توران شاه بن أيوب: قوص،

وأسوان، وعيذاب، وعِبرتها في كلّ سنة مائتا ألف وستّة وستّون ألف دينار.

فسلك صلاح الدين مع أبيه من الأدب مايليق به، وعرض عليه الأمر، فأبى وقال: ياولدي، مااختارك الله لهذا إلاّ وأنتَ له أهل.

فلمّا استبدَ صلاح الدين بسلطنة مصر بعد موت العاضد، وخرج إلى حصار الفرنج بالكرك، ركب نجم الدين أيوب في يوم الثلاثاء ثامن عشر ذي الحجّة ليسير، وخرج من باب النصر، فشبّ به فرسه وألقاه، فحمل إلى داره بالقاهرة ولزم الفراش حتى مات يوم الخميس لثلاث بقين من ذي الحجّة سنة ثمان وستّين وخمسمائة، ودفن بجانب أخيه شيركوه، ثم نُقلا إلى المدينة النبويّة، ودُفنا بجوار الحجرة الشريفة في تُربةٍ هناك سنة ثمانين وخمسمائة.

وترك نجم الدين أيوب من الأولاد: السلطان صلاح الدين يوسف، والملك العادل سيف الدين أبا بكر محمداً، وشمس الدولة توران شاه، وشاهنشاه، وسيف الإسلام طغتكين، وتاج الدين بوري، وستّ الشام، وربيعة خاتون.

وكان ديّناً خيّراً له صدقات وعقل رصين وكرم وسماح.

ورثاه الفقيه عمارة بقصيدتين.

# بغدوين صاحب القدس

بغدوين بن ... ملك بيت المقدس بعد قتل أخيه كندفرَي على عكّا في سنةأربع وتسعين وأربعمائة. قدمها في خمسمائة فارس وراجل، فخرج من مصر في رجب سنة خمسٍ وتسعين عسكرٌ لمنع الفرنج ممّا بقي بيد المسلمين من البلاد الشامية، فسار إليهم بغدوين في سبعمائة فارس وقاتلهم، فنصَرهُم الله عليه وقتلوا أكثرَ أصحابه، ونجا إلى أجمة قصب، فأضرموها عليه بالنار، ففرّ وقد احترق بعض جسدِه.

وصار إلى الرملةِ والمسلمون في إثره. فسار إلى يافا بعدما عظم القتل والأسر في أصحابه. ثم كانت بينه وبين سعد الدولة القوّاسيّ مقدّم عسكر مصر وقعة في سنة ستّ وتسعين انهزم فيها سعد الدولة وقُتل، وأخذ بغدوين أمواله.

ثمّ ظهر المسلمون عليه ففر بغدوين إلى الرملة ثمّ إلى يافا، وعاود الحرب مع ابن الأفضل مدّة، ثم ملك عكّا في سنة سبع وتسعين وسار إلى الفرما في سنة اثنتي عشرة وخمسمائة فبعث الأفضل ــ ابن أمير الجيوش ـ الجيوش من القاهرة فأخذ بغدوين في نهب الفرما وخربها وأحرقها، وعزم على الرجوع، فأهلكه الله بها. وخاف الفرنج من اظهار موته فكتموه . وساروا به بعدما شقوا بطنه وملؤوه ملحا ودفنوا ما في بطنه بالسبخة التي عرفت به الى اليوم قرب الودادة، والعامة تسميها سبخة بردويل وترجم موضع قبره بالحجارة .

## بهرام مقدم الباطنيّة

كان من أهل...فلمّا قتل خاله إبراهيم الأزدابادي ببغداد في ... هرب إلى الشام وصار داعي الإسماعيليّة بها. وتردّد في البلاد يدعو أوباش الناس وطغامهم إلى مذهبه. فاستجاب له منهم مَن لاعقل له، وكثر جمعُه، إلاّ أنّه كان يخفي شخصَه فلايعرف، وأقام بحلب مدّة ونفق على إيلغازي صاحبها، وأراد إيلغازي أن يعتضد به لاتّقاء شرّ أصحابه، فإنّهم كانوا يقتلون كلَّ مَن خالفهم، وأشار إيلغازي على طغتكين صاحب دمشق بأن يجعله عنده لهذا السبب، فقبل رأيه وأخذه إليه، وأظهر حينئذ شخصه بدمشق وأعلن بدعوته، وكثر أتباعه من كلّ من يريد الفساد والشرّ، وأعانه الوزير كمال الدين أبو عليّ طاهر بن سعد المزدغانيّ قصداً للاستعانة به على مايريده، فعظم شرّ بهرام واستفحل أمره في سنة عشرين وخمسمائة، وصار أتباعه أضعاف ماكانوا، إلاّ أنّه خاف عامّة دمشق لفظاظتهم وغلظتهم، فطلب من أتابك طغتكين حصناً يأوي إليه هو وأتباعُه، فأشار عليه الوزير طاهر بتسليم حصن بانياس إليه، فسلّمه إليه في ذي القعدة من السنة المذكورة وسار إليه، فاجتمع أصحابُه عنده من كلّ ناحية، وملك عدّة حصون، منها القدموس.

وأقام خليفته بدمشق يدعو إلى مذهبه، فكثر وانتشر، وعظم خطبه وحلّت المحنة بظهوره. وأشتدّ الحال على الفقهاء والعلماء وأهل الدين، إلاّ أنهم لايقدرون على أن ينطقوا فيه بحرف واحد، خوفاً من سلطانهم ومن شرّ الإسماعيليّة، فلم يقدر أحد على إنكار هذه الحالة، وشرع أصحابُ بهرام في قتل مَن يعاندهم ومعاضدة من يُؤازرهم بحيث لاينكر عليهم أمير ولاوزير.

فلمّا مات ظهير الدين طغتكين أتابك دمشق في صفر سنة اثنتين

وعشرين وخمسمائة وقام من بعده ابنه تاج الملوك بوري في سلطنة دمشق أقرّ الوزير طاهر المزدقانيّ على وزارته، وبثّ بهرام دعاته من بانياس في سائر الجهات فاستغَووا خلقاً كثيراً، وامتدت أيديهم وألسنتهم إلى الأخيار، وقتلوا كثيراً من الناس تعدياً وظلماً، وأعانه الوزير بغير رضى تاج الملوك.

فلّما أراد الله إنفاذ أمره خدع برق بن جندل مُقَدّم وادي التّيم حتى وقع في يده فقتله صبراً. وتألم الناس لقتله وأعلنوا لعنَ قاتله عامة، فحنق صخر بن جندل لقتل أخيه وثار في أخذ ثأره، وجمع لقتال بهرام. فخرج إليه وقاتله بوادي التّيم، فقتل بهرام ومَن معه في يوم الجمعة سابع ربيع الآخر سنة اثنتين وعشرين وخمسمائة، وحُمِل رأسُه إلى القاهرة، فخلع على مَن أحضرَه وأنعم عليه بمال جزيل.

# بهرام تاج الملوك الأرمني

بهرام بن أسيد، الوزير سيف الإسلام، تاج المُلوك، الأرمنيّ. كان يزعم أنّه من نسل داود عليه السلام. وكان من جملة الأرمن الواصلين إلى ديار مصر من قلعة الروم، وسكن مع الأرمن في ناحية تلّ باشر مدّةً. فلمّا مات كبير الأرمن، كان بهرام أحقّ بمكانه، فتَعصَّب عليه جماعة من الأرمن وأقاموا غيره، فغضب وخرج من تل باشر، وقدم القاهرة، وقتل يازمان القائم بأمر الأرمن في قلعة الروم. وكان بهرام أحقَّهم بموضعه. فمُنع وقام غيره بتعصب وقع. فترك البلاد وخرج منها مغاضباً إلى القاهرة، وصار من الجند.

وكان ذا عقل متوفّر ورأيٍ صائب وإقدام في الحروب، فزيدَ في إكرامه لأجل ذلك وترقّى في الخدم ولقب بتاج الدولة. وخرج مع المؤتمن أبي تراب حيدرة أخي الوزير المأمون البطائحيّ مقدَّماً على طائفة الأرمن حين توجّه لغزو لواتة في سنة سبع عشرة وخمسمائة وشهد حروبه، ثمّ عاد إلى القاهرة.

ومازال بها إلى أن كانت فتنة الحسن، ابن الخليفة الحافظ لدين الله، ففرّ منه إلى الغربيّة، وجمع مقطعيها والعربان والأرمن، وسار يريد القاهرة، وقد عاثت حشودهُ في القرى والضياع ونهبوها. وكثرت الفتن بالقاهرة بين الأجناد والسودان حتى أخرج السودان بعد قتل حسن الطائفة الجيوشيّة والفرجيّة والإسكندرانيّة من القاهرة، وقتلوا كثيراً منهم ونهبوا ماقدروا عليه.

فلمّا قدم بهرام بحشوده، تعلّق الأجناد به وأدخلوه على الخليفة وألزموه أن يُوَليَه الوزارة، فلم يجد بدّاً من إجابتهم، وخاف أن تثور الفتنة مرّةً أخرى. فخلع عليه يوم الجمعة سادس عشر جمادى الآخرة سنة تسع

وعشرين وخمسمائة—وقيل: لإحدى عشرة خلت منه— وهو باق على دين النصرانيّة ولُقِّبَ بسيف الإسلام، تاج الخلافة، فاشتد ذلك على الخليفة.

واقتضى الحال توليته، فقيل له: ياأمير المؤمنين، لايرضاه المسلمون، ومن شرط الوزير أن يرقى مع الإمام المنبر في الأعياد ليُزَرِّرَ عليه المزَرّرة الحاجزة بينه وبين الناس، والقضاة نوّاب الوزراء من زمن أمير الجيوش ويذكرون النيابة عنهم في الكتب الحُكميّة النافذة إلى الآفاق وكتب الأنكحة.

فقال: إذا رضينا نحن، فمَن يخالفُنا؟ وهو وزير السيف وأمّا صعود المنبر، فيستنيبُ عنه قاضيَ القضاة. وأمّا ذكره في الكتب الحُكميّة فلا حاجة إلى ذلك، ويُفعل ماكان يُفعَل قبل أمير الجيوش.

فكثُر الإنكار من الناس لوزارة بهرام، إلاّ أنّه لم يدخل في شيءٍ مشكل، وساس الأمور بعقل جيّد وتدبير حسن، وأنفق في الجند جملة من الأموال، فاستقامت أحوالهُ وراسله الملوك وزالِت الفتن من البلاد في أيامه،فلم ينكر عليه شيءٌ سوى أنّه نصراني. وكان يقعد في يوم الجمعة عن الصلاة ويعدل إلى مكان بمفرده إلى أن تنقضي الصلاة. وسأل الخليفة أن يسمح له إحضار أهله، فأذن له في ذلك فأحضرهم من تلّ باشر ومن بلاد الأرمن حتى صار منهم بمِصر قدر الثلاثين ألف إنسان، فاستطالوا على المسلمين، وكثر جَوْرهم وبنَوا عدّة كنائس وأديرة، حتى كان كلّ رئيس منهم يبني له كنيسة، فخاف أهل مصر منهم أن يغيّروا الملّة الإسلامية، وكثرت الشكايات فيه وفي أخيه الباساك وكان قد ولاّه قوص، فعظم ذلك على الأمراء.

وتفاقم أمر النصارى، ووصل إليه ابن أخيه المعروف بالسبع الأحمر،

فأطلق الأسرى من الفرنج، وشنعت القالة، وكاتب أهلُ الدولة الأمير رضوان بن الولخشيّ والي الغربيّة، فحشد لقتال بهرام، وخرج من سَخَا في ثلاثين ألفاً حتى نزل دجوة، وبهرام لاينزعج. فلمّا قرب من القاهرة جمع بهرام الأرمن وقال لهم: قد علمتم بأنّا غرباء ولم نزل نخدم هذه الدولة، والآن فقد كثر بغضهم لأيّامنا وماكنت باللذي أكون( عبد قوم) وأخدمهم من حال الصبا، فلمّا بلغت الكبر أقاتلهم؟ والله لاضربت في وجوههم بسيف أبداً، سيروا بنا.

ثمّ اجتمع بالخليفة وفاوضه في أمره، فقال له: يغلبني عليك الإسلام.

فأيس حينئذ وسار بالأرمن. وقيل: بل ركب في عساكر مصر، وخرج ومعه الأرمن، يريد محاربة رضوان. فلمّا التقى الجمعان خامر عليه الأمراء ولحقوا برضوان، فانهزم بالأرمن. وأخذ ماخفّ من المال وخرج من باب البرقيّة في حادي عشر جمادى الأولى سنة إحدى وثلاثين، وسار يريد قوص، وبها أخوه الباساك، وأوسق مراكب كثيرةً وسيّرها في النيل بمّا يحتاج إليه. فعندما خرج من القاهرة تكاثرت الغوغاءُ على دار الوزارة ونهبوها وهتكوا حرمتّها، وخرجوا إلى آدر الأرمن بالحسينية خارج باب الفتوح فنهبوها كلّها، ونهبوا كنيسة الزهري، ونبشوا قبر البطريك أخي بهرام ومثّلوا برمتّه.

وطار خبر هزيمة بهرام في سائر إقليم مصر حتى وصل الخبر إلى قوص قبل وصوله إليها، فثار المسلمون بالباساك وقتلوه. فقدم بهرام بعد قتلِه بيومين إلى قوص، ومعه من الأرمن نحو الألفين، فرأى أخاه الباساك على مزبلة وقد رُبط معه كلب. فحنق ووضع السيف في أهل قوص، فقتل منهم خلقاً كثيراً، ونهب البلد وخرج إلى أسوان، ونزل بالأديرة البيض— وهي أماكن حصينة عدّتها ثلاثة ديارات في غربيّ مدينة إخميم. وتقدّم إليه بأن يسرّح مَن معه من الأرمن إلى بلادهم، ومن رضي منهم

أن يقيم بمِصر فلاّحاً فليفعل. فأقام بأهله وولده، وخرج جماعة ممّن معه إلى أرض الشام، وبقيت منهم بقيّة كثيرة وتمنّوا أن يكونوا فلاّحين. فردّت لهم جهات، منها سملّوط، وأَتْلُوسَنا، وإِبْوان، والبرجين في صعيد مصر، وضيعة أخرى بالمحلّة.

فسار إليه الأوحد ناصر الدين إبراهيم، أخو الوزير الأفضل رضوان بالعساكر شرقاً وغرباً، وقد تبعه الأسطول في النيل، ومعه أمانٌ لبهرام ليعود مكرّماً وطائفته على إقطاعاتهم. فلم يزل على الأديرة البيض. فتقرّر الحال مع بهرام على إقامته بها من غير أن تكون حرب. فلم يزل هناك إلى أن استدعاه الخليفة الحافظ في شهر رمضان سنة ثلاث وثلاثين، وأنزله معه في القصر وأكرمه، إلى أن هلك في الرابع والعشرين من شهر ربيع الآخر سنة خمس وثلاثين وخمسمائة. فحزن عليه الحافظ حزناً كثيراً لأنه كان يشاوره في تدبير الدولة والأُمور فيعجبُه رأيُه ويفتن بحزمه وعقله. وصار يوم موته على القصر غمّة وأمر بغلق الدواوين، واستحضر بطرك الملكيّة ليجهّزه، فقام بأمره، وأخرج وقتَ الظهر في تابوت عليه الديباج، وحوله النصارى يبخرون باللبّان والسندروس والعود. وخرج الناس كلُّهم مُشاةً، ولم يتخلّف عن جنازته أحدٌ من الأعيان، وخرج الخليفة راكباً بغلتَه خلف التابوت بعمامة خضراء وثوب أخضر من غير طيلسان، وسار والأقِسَّاءُ يعلنون بقراءة الإنجيل، والخليفة على حاله إلى دير الخندق خارج القاهرة—وقيل: بل في الكنيسة المستجدّة ببنيان الزهريّ— فنزل الخليفة عن بغلته ونزل على شفير القبر وبكى بكاءً كثيراً، حتى دُفن. ثم عاد.

وكان بهرام عاقلاً حسن السياسة جيّد التدبير مقداماً في الحرب.

# أخو المأمون البطائحي

جعفر بن فاتك بن مختار بن حسن بن تمام، الأمير ركن الخلافة، عز الملوك، أبو الفضل، ابن الأمير نور الدولة أبي شجاع ابن الأمير مجد الدولة أبي الحسن، ابن الأمير أمين الدولة أبي عليّ، المعروف بأخي الوزير الأجلّ المأمون أبي عبد الله محمد البطائحي.

رتّبه أخوه لمّا ولي وزارة الخليفة الآمر بأحكام الله أبي علي منصور، بحمل السيف الخاصّ، وهي رتبة جليلة المقدار لايليها إلاّ أمير عظيم القدر، وهو أكبر حامل.

وهذا السيف حليته ذهب مرصّعة بالجواهر في خريطة مرقومة بالذهب لايظهر إلاّ رأسه، يخرج من خزائن السلاح الخاصّ عند ركوب الخليفة في يوم العيد ونحوهما، فيسلّم إلى حامله، وهو ممّن يرخي الذؤابة مادام حاملاً له. ويكون في وقت مسير الخليفة راكباً في الجانب الأيسر هو وحامل الدواة.

وولاّه أيضاً حماية خزاين الكسوات، وصناديق النفقات فجلّ أمره واتّسعتْ أحواله، بحيث إنّه توفيت له حظيّة من حظاياه فحصل للغاسلة من المصاغ الذهب المرصّع، والملبوس المذهّب، والفرش ماتزيد قيمته على ألف دينار، سوى مائة دينار عيناً، وجارية تحمل المصاغ والملبوس.

وكان ممّا عُمِل في عنق هذه الحظيّة لمّا كُفّنت عِقد فيه ثلاثة عشر حجراً فيهم خمسة ياقوت أحمر رمّاني، وثمانية مابين أزرق وأصفر يساوي جملة كثيرة، وجُعل في أذنَيها خرصان وزنهما مثاقيل ذهب وجوهر.

ثمّ لمّا قبض الآمر بأحكام الله على الوزير المأمون، قبض على جعفر

هذا في جملة مَن قبض عليه. ثمّ أفرج عنه. وتأخّرت وفاته إلى خلافة الفائز،فمات في أثناء سنة تسع وأربعين وخمسمائة. وصلّى عليه الصالح طلائع بن رزيك في الإيوان.

وخلّف سبعة ذكور وأربع بنات فرقّت أحوالهم، وركبَهم دَيْنٌ ثقيل حتى احتاج بعضهم في سنة ست وسبعين وخمسمائة إلى بيع تربتهم بالقرافة، ثم مضوا إليها وحفروا القبر الذي فيه حظية أبيهم المذكورة، وغربلوا ماتحتها من التراب، فوجدوا فيه من الذهب المسبوك ثلاثمائةوعشرين مثقالاً، ثم باعوا رخام القبر، والتابوت الساج حتى وفوا ماعليهم من الدين، فسبحان محيل الأحوال.

- ١١٨٤١ -

# حميد بن مكّيّ القصّار

حميد بن مكي، الإطفيحيّ، القصار.

كان رفيقاً لبركات الذي استغوى الناس بمصر في أ يام الأفضل بن أمير الجيوش. فلمّا مات بركات وقتل أصحابه بغد غلق دار العلم، فر حميد.

فلمّا مات الأفضل عاد حميد وسكن مصر، يدّق الثياب،وصار يتردّد إلى دار العلم بعدما فتحها الوزير المأمون أبو عبد الله محمد بن فاتك البطائحيّ، ويفسد عقول الناس، وأدّعى الربوبيّة فأتّبعه أستاذ وخيّاط وجماعة، فقام في أمره داعي الدعاة وليّ الدولة أبو البركات بن عبد الحقيق وصار إلى الوزير المأمون وعرّفه عن حميد بأنّه قد عرف طرفاً من علم الكلام على مذهب الأشعري، ثمّ إنّه انسلخ من الإسلام، وسلك طريق الحّلاج في ا لتمويه، واستهوى من ضعف عقله وقلّت بصيرته.

فقبض على حميد وعلى جميع أصحابه. ماخلا الخيّاط، فإنه فرّ، فنودي عليه وبُذل لمن يُحضِره المال فلم يقدر عليه، وأودع حميد وأصحابه السجن، وقُرروا فلم يعترفوا بشيء، فلمّا كان بعد أيّام تماوت فأمر بدفنه، فإذا به حيّ، فترك في السجن. وعرضت البراءة منه على أصحابه، فمن تبرأ منهم، خُلّي عنه، ومن أصرّ ترك في السجن، وعُرضت البراءة على الأستاذ فقال: إنّ القتل لايصل إليه.

فأمر بقطع لسانه فقطع ورمي قدّامه، فلم يرجع، وأخرج بحميد والخصيّ في مَن بقي من أصحابه فصلبوا وضربوا بالنشّاب حتى ماتوا، وذلك في شهر ربيع الأوّل سنة سبع عشرة وخمسمائة. ثمّ ظُفر بالخيّاط فلم يتبرّأ من حميد، فصلب بجانبه. وصار أصحابه يأتون بالكافور ويلقونه قريباً من خشبته سراً، حتى إنّ مَن هناك يشمُّ ريح الكافور،

فيُشيع أصحابه أنّ هذا من كراماته التي ظهرت بعد صلبه، فلمّا اشتهر هذا أمر المأمون بحطّ رممهم عن الخشب ودفنهم، بحيث لم يعرف قبر حميد.

وكان حميد قصيراً دميم الخلقة، يَتَنَمَّسُ بالدين ويواصل طلوع الجبل في عدّة من أصحابه، ويصلّي ركعتين ثمّ يحضر إليهم المأكل من الجبل، فيرى أصحابه أنّه أحضر إليهم ذلك من الغيب. وكانوا يبالغون في تعظيمه حتى إنّهم يخافون الإثم في تَأَمُّل صورته، فلا يزالون مطرقين بين يديه، وهم مع ذلك يسألونه الحوائج، فما منهم أحد إلاّ ويستدعي منه بالجبل شيئاً على سبيل الامتحان فيحضره إليه لوقته.

وكانت معه سكين لاتقطع إلاّ بيده. فإذا أمسك طائراً أو قبضه أحدٌ ممّن عنده، يدفع السكّين التي معه إليه ويقول: اذبحه فلا تمشي في يده حتى يأخذها هو ويذبحه بها، فيجري دم الطائر. ثمّ يعود فيمسكه بيده ويسّرحُه فيطير.

وكان أصحابه يزعُمون فيه أنّ الحديد لايؤثر في جسمه.

- ١١٨٤٣ -

# المؤتمن بن البطائحيّ

حيدرة بن فاتك بن مختار بن حسن بن تمّام، المؤتمن، سلطان الملوك، نظام الدين، أبو تراب، ابن الأمير نور الدولة أبي شجاع، ابن الأمير منجد الدولة أبي الحسن، ابن الأمير أمين الدولة أبي عليّ، أخي الوزير المأمون بن البطائحي.

نشأ بالقاهرة. فلمّا اتّصل أخوه عبدالله محمد بن فاتك بالأفضل ابن أمير الجيوش، استعان به وبأخيهما أبي الفضل جعفر. فاستصوب الأفضل فعله، ورتّب لهما الرواتبَ الدارّة في اليوم والشهر والسنة.

فلمّا استقرّ أبو عبد ا لله بعد قتل الأفضل في الوزارة، صار إليه تقدمة العساكر وزمّ الأزمة. ثمّ ولاه الخليفة الآمر بأحكام الله: الإسكندرية، والأعمال البحريّة، والغربيّة، والجزيرتين، والدقهلية، والمرتاحيّة، في سنة سبع عشرة وخمسمائة، وخلع عليه بدلة مذهبّة من خاصّ لباسه وطوق ذهب، وقلّد بسيف قرابه وسفطه ذهب بغير منطقة، وشرّف بتقبيل يد الخليفة في مجلسه، وسلّم إليه تقليده في لفافة مذهّبة، وشدّت الأعلام والقصب والفضّة والعماريّات، وحمل على يديه أكياس المال برسم التفرقة، وحَجَبه الأمراءُ المطّوقون والأساتذة المحنّكون. وقبّل أبواب القصور ومضى إلى داره. وأطلق له من ارتفاع الإسكندريّة على الولايتين في الشهر خمسمائة دينار.

فورد الخبر بأنّ رزين الدولة علي بن تراب والي الصعيد الأدنى وضامنَه قتلته لواته وعاثت في البلاد، فخرج المؤتمن ومعه طائفة من المأمونيّة، وتاج الدولة بهرام زمام الأرمن وجميع طائفته، وجّرد معه مائة فارس من خيرة الأجناد ومن أغنيائهم، وأضاف إليه أمثالهم مثل علي بن السلاّر،

وتاج الملوك قايماز، وسيف الملك الجمل، ودرّيّ الحرون، وحسام الملك بسيل، وكلّ واحد من هؤلاء له جيش بمفرده.

وسارت لواته إلى الفيّوم ونهبوها وأحرقوها ومضوا مغّربين، فأخذ مواشيهم، وتبعهم إلى الموضع الذي يقال له الحمام وأخذ أموالهم وعزم على استئصالهم.

فبلغه أنّه قد وصل إلى الإسكندرية من مراكب الروم والبنادقة نيف وعشرون مركباً، فبادر إلى الثغر ودخله، فرأى الروم من عسكره ماهالهم فأقلعوا عن الثغر.

وأتاه مشايخ لواته ومقدّموهم وسألوه الوساطة بينهم وبين أخيه الوزير المأمون في الصفح عنهم، على أن يقوموا عن جناياتهم بثلاثين ألف دينار عيناً، أحضروها مع رهائنهم، فقرّر أمرهم على ذلك وقبض المال.

ولمّا اتّصل بأهل الإسكندرية قدومه خرج إليه الفقهاء والقاضي والشهود والتجار وكافة الناس، حتى النساء، ومعهم المصاحف والشموع، وسلّموا عليه. فخيّم بظاهر المدينة، وخرج إليه الإمام أبو بكر الطرطوشيّ للسلام عليه. فلم يقبل من أحد شيئاً سوى من القاضي مكين الدولة أبي طالب أحمد بن حديد قاضي الإسكندرية وناظرها، فإنّه قبل ماحمل إليه على حكم الضيافة ثلاثة أيّام، ثمّ أمره بأن لايعود إلى حمل شيء. وأخرج كتابين من الوزير المأمون، أحدهما يتضمّن أنّ الغلال بالثغر وأعمال البحيرة كثيرة، وكذلك الأغنام مع قطيعة العربان، فمهما دعت الحاجة إليه برسم أسمطة العساكر يحمل ويساق وتُكتب به الوصول على ماجرت به العادة، ويأمره فيه أن لايقبل من أحد من التجّار ضيافة ولا هديّة.

والكتاب الآخر إلى مكين الدولة بأن يطلق في كلّ يوم من ارتفاع الثغر مايحتاج إليه من الأصناف برسم الأسمطة للعساكر، وأن يستخدم عليها من يراه من الشهود. وكان التجار قد جمعوا من بينهم ثلاثة آلاف دينار ضيافة للمؤتمن وحملوها إلى مكين الدولة، فلمّا أحضرها إلى المؤتمن أنكر عليه وأمره بردّها إلى أربابها. فأخذ مكين الدولة يتلّطف به ويقول: تجعل عوضها طيباً وطرفاً ممّا عند التجّار فإنّه لاكلفة عليهم في ذلك. فأقسم أن لايقبل منهم شيئاً، فأعادها إلى أربابها. واستمرّت الأسمطة في كلّ يوم تُعمل من مال الارتفاع.

وشرع المؤتمن في ترتيب أحوال الثغر وعمارة ماتشعّث منه، ولم يقبل لأحدٍ هديّةً، ثمّ خلع على مكين الدولة وسار لتمهيد مااختلّ من البلاد، فسدّد الأمر في ذلك، وعاد إلى القاهرة. فمدحّه عدّة من الشعراء، منهم أبو الفتح محمد بن قادوس، وأبو القاسم عليّ بن الصيرفيّ.

وكان سبب عوده أنّ الخليفة الآمر لمّا تغيّر على الوزير المأمون، بعث أستاذاً من ثقاته في أمر ندبه إليه، وأسرّ له أن يجتمع بعليّ بن السلاّر في خفية، ويبلّغه سلام الخليفة ويقول له: إنّنا مازلنا نلتفت إليك وندّخرك لمهمّاتنا ونتحقّق فيك الموافاة لنا. وإنّا بحمد الله قادرون على المكافأة بالخير أكثرَ من غيرنا. وقد تلّونت أحوال المأمون، وبالغ في عقوقنا بأشياء لايتّسع لنا ذكرها، ومقصودُنا أن تكتم مانقول لك.

فلمّا بلّغه الأستاذ ذلك عن الآمر قال: السمع والطاعة لمولانا وأنا مملوكه وباذل نفسي في خدمته.

فقال له الأستاذ: هكذا والله قال عنك.

قال: فما يأمر به؟

قال: تحدّث رفقتَك بأجمعهم في الانفصال عن المؤتمن.

ثمّ تركه، ففارق ابن السلاّر المؤتمن، ومعه قايماز، ودرّيّ الحرون. فتبعهم بقيّة الأمراء، وصار المؤتمن مستوحشاً، وكتب إلى أخيه المأمون بذلك، وكان يشعر بتغيّر الخليفة عليه فلم يحرّك ساكناً، وتقدّم إلى الخليفة عند حضوره على العادة وقال: يامولانا، صلوات الله عليك. وصل كتاب عبدك أخي وهو يشكو من طول مقامه خارج القاهرة، وأسفه على مايفوته من خدمة مولانا بالمباشرة، ويسأل الفسحة له في العود إلى الباب الكريم.

فقال: مرحباً وأهلاً، وهذا كان ر أينا، ونحن مشتاقون إليه، وإنّما قصَدنا رضاك فيما رتّبته له، يقدم على بركة الله.

فكوتب عن الخليفة بالعود وأن يرتّب في ولاياته مَن يختار، فلمّا دخل جلس له الخليفة في غير وقت الجلوس تشريفاً له وخلع عليه.

فلمّا دخل شهر رمضان سنة(تسع) عشرة وخمسمائة، حضر المأمون والمؤتمن السماط بقاعة الذهب من القصر أوّل ليلة، فأكرمَهُما الخليفة بما أخرج إليهما ممّا كانت يدُه فيه، وبعث يستأنس بالمؤتمن لحضوره السماط مع أخيه.

فعاد في الليلة الثانية فزاد الخليفة في إكرامهما، وأذن للمأمون أن يدخل إليه ليؤاكِلَه، ولم يتقدّمه أحدٌ من الوزراء لذلك، فدخل. وهنّأه الناس بهذه المنزلة وخلع عليه وعلى أخيه المؤتمن من داخل الدار ثياباً داريةً، فلمّا حضرا في الليلة الثالثة السماط بالقاعة استدعي المأمون ليؤاكل الخليفة كما أكله البارحة، فعندما جلس على المائدة قال له: قد جفونا المؤتمن، واستدعاه فدخل وصارا في القبضة، وكان قد رتّب لهما

مَن يأخذهما. فلمّا فرغ من الأكل وخرجا قبض عليهما واعتُقلا في خزانة، و أحيط بدورهما، ثمّ قُتل مع أخيه في ليلة العشرين من رجب سنة اثنتين وعشرين وخمسمائة.

obeikandl.com

# الأشرف خليل بن قلاوون

خليل بن قلاوون، السلطان الملك الأشرف، ابن الملك المنصور سيف الدين الألفيّ النجميّ.

ولد سنة سبعين وستّمائة. وأحبّه (أبوه) وفوّض إليه ولاية العهد وأركبه بشعار السلطنة من قلعة الجبل في يوم الجمعة حادي عشر شعبان سنة سبع وثمانين وستّمائة فسار إلى باب النصر من خارج السور، وشقّ القاهرة وصعد القلعة من باب زويلة، وسائر الأمراء في خدمته، ودقّت البشائر وخلع على أهل الدولة، وخُطب له بعد أبيه على منابر مصر والشام، وكتب بتقليده فتوقّف السلطان عن الكتابة عليه وقال لدغدي الدوادار لمّا قدم معه ليكتب عليه: خبئه عندك حتّى أطلبه.

فلمّا سافر السلطان في المحرّم سنة ثمان وثمانين وستّمائة لأخذ طرابلس من الفرنج، استخلفه على مصر وجعل معه الأمير الوزير بدر الدين بيدرا إلى أن عاد.

فلمّا مات أبوه الملك المنصور جلس بعده على تخت الملك بقلعة الجبل في يوم الأحد سابع شوّال سنة تسع وثمانين وستّمائة، ولم يختلف أحدٌ عليه. وحلف له الأمراءُ وأهل الدولة في يوم الاثنين ثامنِه، وخطب له على منابر مصر في يوم الجمعة ثاني عشرة، فطلب من القاضي فتح الدين ابن عبد الظاهر كاتب السرّ تقليده بولاية العهد. فأحضره إليه مكتوباً وليسَتْ عليه علامة السلطان، وكان قد طلبه الأشرفُ في حياة أبيه مراراً، وابن عبد الظاهر يقدّمه إليه، ويأبى أن يكتب عليه علامته. فلمّا تكرّر تقديمُه للعلامة ردّه وقال: يافتح الدين، أنا ماأوليّ خليلاً على المسلمين.

وبلغ ذلك الأشرف. فلمّا أحضر إليه ابن عبد الظاهر تقليد العهد

ورآه بغير علامة، قال: يافتح الدين، إنّ السلطان امتنع من أن يعطيني، فقد أعطاني الله وألقى إليّ التقليد.

ثمّ خلع على سائر الأمراء وجميع أهل الدولة.وركب من قلعة ا لجبل بشعار السلطنة في يوم الجمعة المذكور، وسيَّر بالميدان الأسودِ تحت القلعة على العادة وعاد سريعاً، فقد بلغه أنّ طرنطاي النائب يريد الفتك به. فعندما استقرّ بالقلعة استدعى طرنطاي وقبض عليه. ثمّ قبض على سنقر الأشقر، وجرمك الناصريّ، وكانا أكبرَ أمراء دولةِ أبيه.

وتجرّد للغزو فندب العساكر من البلاد الشاميّة للجهاد وكتب إليهم بتجهيز الزردخاناه وأعواد المجانيق والحجّارين. وخرج الأمير أيبك الأفرم لذلك فجهّز أعواد المجانيق من دمشق حتى كمل في ثاني عشر ربيع الأوّل وسيّرها مع الأمير علم الدين سنجر الدواداري، وخرج الأمير لاجين نائب دمشق بعساكرها، وقدم صاحب حماه ونوّاب الممالك.

وبرز السلطان من قلعة الجبل في يوم الثلاثاء ثالث ربيع الأوّل سنة تسعين وستّمائة، وسار بعساكر مصر، وقدَّم حريمّه إلى دمشق، فوصل إلى عكّا في يوم الخميس ثالث ربيع الآخر. وقدمت عليه المجانيق يوم الجمعة وعدّتها اثنان وتسعون منجنيقاً، فتكامل نصبُها وأقيمت الستائر في أربعة أيّام.

وكان الفرنج قد استنصروا بأهل الجزائر، فقدمت إليهم جموع كثيرة، وأغلقوا أبواب عكّا، فوقع الحصار وعُملت النقوب إلى يوم الجمعة سابع عشر جمادى الأولى، فركب السلطان ورتب الكوسات على ثلاثمائة جمل وأمر أن تضرب جملة واحدة، وزحف بعساكر المسلمين عند طلوع الشمس ودقّت الكوسات فارتجّت الأرض وهال الفرنج ماسمعوه من ضرب الكوسات ومشاهدة الكماة. وأنزل الله نصره على المؤمنين، فلم

ترتفع الشمسُ حتى علت الصناجق السلطانيّة على أسوار عكّا، وانهزم الفرنج إلى ا لمراكب بالبحر، فهلك منهم في الزحام خلق كثير، والمسلمون تقتل وتأسر وتنهب وتسبي النساء والأولاد، فقُتل وأسر وسُبي مالايُحصى كثرةً، وأمر السلطان بتخريب عكّا، فابتدأ هدمها وإحراقها في يوم السبت ثامن عشره. فكانت مدّة حصارها أربعة وأربعين يوماً.

وأكرم الله بالشهادة من الأمراء: كشْتغدي الشمسيّ، وأيبك العزيّ نقيب الجيوش، وأقوش الغَتميّ، وبيليك المسعوديّ، وقيران السكّريّ، وأربعة من مقدّمي الحلقة، وجماعة يسيرة من الأجناد.

وفتح الله تعالى أيضاً صور في تاسع عشره، وصيدا في عشرينه، وحيفا وعثليت. كلّ ذلك بغير قتال. فأمر بهدم صور وحيفا وعثليت فهدمت كلّها.

وقبض علي الأمير لاجين نائب دمشق وبعثه إلى قلعة الجبل. ثمّ رحل عن عكّا إلى دمشق فدخلها يوم الاثنين ثاني عشر جمادى الآخرة وقد زُيّنت زينةً عظيمةً وكان يوماً مشهوداً. وفيه ولّى الأمير سنجر الشجاعي نيابة دمشق.

وخرج السلطان من دمشق في يوم الأربعاء تاسع عشر شهر رجب، وسار إلى ا لقاهرة، فوصلها يوم الاثنين تاسع شعبان ودخل من باب النصر وخرج من باب زويلة إلى القلعة، وقد زيّنت القاهرة زينة عظيمة لم يُرَ قبلَها مثلُها، وكان من الأيّام المذكورة.

وخرج ا لشجاعيّ من عكّا فأخذ بيروت من الفرنج في شعبان، ولم يبقَ في جميع الساحل أحد من الفرنج.

وفي يوم السبت ثامن شهر ربيع الآخر سار السلطان من قلعة الجبل

إلى ا لشام بعساكر مصر، ومعه الأمير لاجين بعدما أفرج عنه وأعاد إليه الأمر بمصر. فدخل دمشق يوم السبت سادس جمادى الأولى، وأنفق في العساكر يوم الاثنين ثامنه، وخرج في سادس عشره إلى حلب فدخلها في ثامن عشرينه. وسار منها يريد أخذ قلعة الروم في يوم الجمعة رابع جمادى الآخرة. فنزل عليها يوم الثلاثاء ثامنه وحاصرها ونصب عليها عشرين منجنيقاً، وعملت النقوب وتَحَيَّل الأمير سنجر الشجاعيّ نائب دمشق في عمل سلسلةٍ شَبَكَ طرفها بالغرب من شراريف القلعة وطرفها الآخر بالأرض، وطلع فيها المقاتلة وقاتلوا أهل القلعة قتالاً شديداً. ففتحها الله في يوم السبت حادي عشر رجب عنوة، فقُتلت المقاتلة وسُبيت النساء والذراريّ، وأسر بطرك الأرمن، فكانت مدّة الحصار ثلاثاً وثلاثين يوماً، وسمّى السّلطان هذه القلعة قلعة المسلمين، فعرفت بذلك إلى اليوم.

وكثرت الأسرى في أيدي العسكر، فكانت حصّة الزردخاناه السلطانيّة من الأسرى ألفاً ومائتي أسير، واستشهد من الأمراء شرف الدين الخطير وابن الأمير جاندار. وكتب بالفتح إلى البلاد، فزيّنت دمشق ودقّت البشائر.

ورحل السلطان عنها يوم السبت ثامن عشره، وأقام نائب دمشق لعمارة ما تهدّم منها بالمجانيق والنقوب، وتخريب ربضها وإعادته قريباً منها. فأقام بحلب إلى نصف شعبان، وعزل قراسنقر نائبها وولّى عِوضه بلبان الطباخي.

وخرج من حلب إلى دمشق فقدمها في العشرين منه، وبين يديه البطرك والأسارى، فكان يوماً عظيماً. ونزل بالقلعة، وجرّد الأمير بيدرا النائب بديار مصر على عسكر كبير إلى جبال كسروان فرجع بغير طائل.

ووقع في جمال العسكر وباء كثير فسار أكثر العسكر من دمشق إلى القاهرة في العشرين من رمضان.

فلمّا كانت ليلة عيد الفطر هرب الأمير لاجين الصغير(من داره بدمشق) خوفاً من القبض عليه، فنودي بدمشق: من أحضر لاجين فله ألف دينار،ومن أخفاه شُنق، وركب السلطان في خاصّكيجته وجماعةمن الأمراء، وترك سماط العيد وساق في طلبه وبعث الأمراء يميناً وشمالاً فلم يظفر به، وعاد آخر النهار وقد بلغ من التعب مبلغاً مشقّاً، فزاد قلقُه. واتّفق أنّ لاجين نزل عند العرب فأخذوه برمّته وحملوه إلى دمشق. فقبض السلطان على الأمير بيبرس طقصو حمي لاجين، وبعثهما إلى قلعة الجبل. وعزل سنجر الشجاعيّ عن نيابة دمشق وولّى أيبك الحموي.

(وفي الثلث الآخر من ليلة الثلاثاء تاسعه) خرج من دمشق(عائداً إلى مصر، بعدما رسم لجميع أهل الأسواق) أن يقفوا من باب النصر إلى جامع القدم وبيد كلّ منهم شمعة. فلمّا ركب أشعلوا الشموع كلّها وسار السلطان بين صفّين من شموع مشعلة من باب النصر إلى مسجد القدم، ونزل مخيّمه. ثمّ سار فدخل القاهرة من باب النصر، وخرج من باب زويلة وصعد قلعة الجبل في يوم الأربعاء ثاني ذي القعدة، وقد عمل من الزينة والقلاع والتهاني، وأوقد من الشموع مايجلّ وصفه.

ثمّ خرج إلى بلاد الصعيد في المحرّم سنة اثنتين وتسعين فانتهى إلى مدينة قوص ونادى بها في العسكر أن يتجهّزوا لغزو اليمن، وعاد إلى قلعة الجبل.

ثمّ خرج إلى بلاد الشام مُخفّاً على الهُجن في خواصّه، وسيّر العساكر والخزائن صحبة الأمير بيدرا نائب السلطنة والوزير شمس الدين محمد ابن السلعوس، فدخل السلطان إلى مدينة الكرك وسلك البرّية إليها، فأقام بها حتى رتّب الوزير أحوالها. فدخل إلى دمشق فقدمها في تاسع

جمادى الآخرة، وقد وصل النائب والوزير قبله بثلاثة أيّام. وأمر بالتجهيز لأخذ بَهَسْنا ومرعش وتلّ حمدون من الأرمن. فقدم عليه رسل سيس فسألوا العفو عنهم وأن يسلّموا البلاد المذكورة، فأجيبُوا إلى سؤالهم وسافروا ومعهم الأمير طوغان والي برّ دمشق ليتسلّم ذلك، فقدم البريد بأنّه تسلّمها في أوائل رجب، ودقّت البشائر بقلعة دمشق، وبعث إليها النّواب والقضاة والرجال، ثمّ قدم طوغان بالرسل ومعهم تقادم سيس والحمل في ثامن عشرينه بعدما توجّه السلطان من دمشق في ثاني رجب إلى حمص فأدركوه، وسار من حمص إلى سلميّة مخفّاً ونزل بغتة على الأمير مهنّا بن عيسى وقبض عليه وعلى إخوته وبعث بهم إلى دمشق في سابعه، وبعث الأمير أيبك الأفرم فهدم قلعة الشوبك. وخرج الأمير بيدرا والوزير ابن السلعوس من دمشق بالعسكر والخزانة في حادي عشره. وخرج السلطان يومَ السبت ثالث عشره في عدّة من خواصّه فدخل غزّة في سابع عشره، وقدم إلى القاهرة في ثامن عشرينه.

ثمّ خرج من قلعة الجبل في ثالث المحرّم سنة ثلاث وتسعين وستّمائة وعدّى النيل إلى برّ الجيزة وصحبته الأمير بيدرا النائب وغيره من الأمراء، وسار إلى الطرّانة، فقَدَّمَ الوزير شمس الدين محمد بن السلعوس إلى الإسكندرية لتحصيل الأموال وتجهيز تعابي الثياب، فوجد نوّابَ بيدرا قد استَولَوا على المتاجر والاستعمالات وغيرها، فكتب يعرّف السلطان أنّه لم يجد بالثغر مايكفي الإطلاقات الجاري بها العادة، وأنّ الصنف كلّه قد استولى عليه نوّاب الأمير بيدرا نائب السلطنة، فاشتدّ غضَبُ(السلطان) وطلب بيدرا وشتمه وأخرق به بحضور الأمراء، فدارى أمره حتّى خرج من بين يديه، وجمع الأمراء أصحابه وشاورهم، فأشاروا عليه بقتل السلطان.

وكان السلطان قد نزل بأرض الحمّامات للصيد، وأقام إلى يوم السبت ثاني عشر المحرّم. واتّفق أنّ السلطان كان قد أذن لأمرائه الخاصّكيّة أن

بتوجّهوا إلى إقطاعاتهم، وانفرد بمماليكه. وركب من تروجة ليتصيَّدَ، وبعث إلى بيدرا أن يسير تحت الصناجق بالأمراء الذين تأخروا وبقيّة العسكر، وحملت الزردخاناه وسار بها أمير جاندار.

وسار السلطان في وقت العصر وليس معه غير الأمير شهاب الدين أحمد بن الأشل أمير شكار فقط، يريد طيراً سمع به في ناحية تروجة، وساق ليسبقَ خاصّكيّته إلى أن رأى طيراً كثيراً فصرع منه بالبندق ماشاء الله، والتفت إلى أمير شكار وقال: أنا جيعان، فهل معك ماآكل؟

فقال: والله مامعي سوى رغيف واحدٍ وفرّوج في صولقي(جرابي) ادّخرتُه لنفسي، فقال: ناولنيه، فتناوله وأكله جميعَه. ثمّ قال لأمير شكار: أمسك فَرسي حتى أنزل أبول— وكان أمير شكار كثيرَ التبسّط مع السلطان، فقال: مافيها حيلة: السلطان على حصان، وأنا على حجرة وما يتفقان، فقال السلطان: انزل أنت وأركب خلفي حتّى أنزل أنا.

فنزل أمير شكار وناوله السلطان عنان فرسه وأمسكه، ثمّ ركب خلف السلطان ونزل(السلطان) فقضى حاجته. ثمّ قام وركب حصانه ومسك فرس أمير شكار حتّى ركب، وإذا بغبار عظيم قد ثار إلى جهته، فقال لأمير شكار: أمضِ اكشف الخبر!

فساق يريده وإذا هو بالأمير بيدرا في طائفة من الأمراء، فسألهم عن سبب مجيئهم فلم يجيبوه، ومرّوا كما هم إلى السلطان، وبدره بيدرا بالسّيف فقطع يده وثنّى في ضربه فألقى كتفه. فتقدّم الأمير حسام الدين لاجين وقال: يابيدرا، من يريد ملك مصر والشام تكون هذه ضربته، وضرب السلطان على كتفه فحلّه، فسقط إلى الأرض. وجاء بهادر رأس نوبة فوضع السيف في دبره وأخرجه من حلقِه، وتناوبه قراسنقر، وأقسنقر الحسامي، ونوغاي، ومحمد خواجا، وطرنطاي الساقي، وألطنبغا رأس

نوبة حتّى شفَوا أنفسهم، وذلك يوم السبت المذكور، وتركوه وانصرفوا. فبقي مطروحاً في موضعه يومين حتى جاء الأمير أيدمر العجميّ متولّي تروجة وحمله في تابوت إلى تروجة وغسّله في الحمام وكفّنه وخلاّه في بيت المال بدار الولاية إلى أن حضر الأمير سعد الدين كوجبا الناصريّ وحمله في تابوته إلى المدرسة الأشرفيّة بجوار المشهد النفيسيّ خارج مدينة مصر، ودفنه بها سحر يوم الجمعة ثاني عشرين صفر سنة ثلاث وتسعين وستمائة، وكانت مدّة سلطنته ثلاث سنين وشهرين وأربعة أيّام، ومات عن ابنتين من زوجته خاتون أردكين، فورثه معهنّ أخُوهُ الملك الناصر محمد بن قلاوون.

وكان كريماً شجاعاً مقداماً خفيف الركاب مظفّراً في حروبه، نظّف الساحل الشاميّ من الفرنج، وفتح عكّا وصور وبيروت وصيدا وبهسنا وقلعة الروم وجميع الساحل في أقرب مدّة، وكان حسن النادرة يطارح الأدباء بذهن رائق وذكاء مفرط، واتّفق له أنّه جلس في أيّام أبيه بالميدان والقرّاء يقرؤون القرآن، وكان أبوه يحاصر طرابلس، فقال الأشرف: في هذه الساعة أخذت طرابلس، فضبط ذلك فكان كما قال.

وقال محيي الدين عبد الله بن عبد الظاهر: مارأيت وماسمعت أسبق من ذهن الملك الأشرف إلى فهم، ولا أدرك منه إلى مايريد الوهم. لقد كتبت عنه واستكتبت فما علم على مكتوب قطّ إلاّ وقرأه جميعه، وفهم أصول المكتوب وفروعه، لابل استدرك عليّ وعلى الكتّاب، وخرّج أشياء كثيرة معه فيها الصواب، وذلك بحسن تعطّف وكثير تلطّف.

وعظم الأشرف في نفسه حتّى صار في آخر أيّامه يكتب موضع العلامة«خ» إشارة إلى الحرف الأوّل من حروف اسمه. ومَنَعَ كُتّاب الإنشاء أن يكتبوا لأحدٍ من الأمراء والنّواب«الزعيميّ» وقال: من زعيمُ الجيوش غيري؟

وكان يؤخذ في باب الجابية، أحد أبواب مدينة دمشق، على كلّ حمل من القمح خمسة دراهم، فأمر بإبطال ذلك، وكتب مرسوم المسامحة بهذا المكس، فكتب بخطّه بين الأسطر بقلم العلامة: ولنكشف عن رعايانا هذه الظلامة، ونستجلب لنا الدعاء من الخاصّة والعامّة.

وأزرق الصبح يبدو قبل أبيضه
وأوّل الغيثِ قطرٌ ثمّ ينسكبِ

إلاّ أنّه رُمي بأنّه يشرب الخمرَ في رمضان، وأنّه يفسق بالمردان، ولايصلّي، فاستفتى بيدرا في قتله فأفتوا بإراقة دمه، وذكر أنّ بيدرا جلس معه على الأكل. فلمّا فرغ من أكله لعق أصابعه فأنكر عليه الأشرف ذلك، فقال: ياخوند، السنّة لعق الأصابع بعد الأكل، وذكر له قول رسول الله ﷺ:«إذا أكل أحدكم فلايغسل يده—أو قال:أصابعه— حتى يَلعقها».

فلمّا قال بيدرا الحديث قال الأشرف بالتركيّة: هَيْ طاط— فسأل بيدرا الفقهاء ممّن ذكر له حديث رسول الله ﷺ فقال: كذا، وهذا معناه بالعربيّة: فلاّح—يعني أنّ قائل هذا فلاّح— فقالوا: لهذا تنقيص، ويُقتل قائله لفساد طويّته وخبث نيّته.

ومن غريب ماوقع له أنّه كان مرّة راكباً للصيد، ولاجين يومئذ من جملة السلاح داريّة، وهو نوبَتُه في حمل السلاح، فلمّا أقام السلطان الحلقة دفع لاجين السلاح السلطانيّ إلى بدر الدين بكتوت أ حد السلاح داريّة ومضى في شُغلٍ ندب إليه، فوقف بكتوت بالسلاح على العادة، وأطرق السلطان ساعةً كالمفكرّ ثمّ قال لبكتوت: يابكتوت، والله لقد التفتّ ورائي فرأيت لاجين خلفي وهو حامل سلاحي والسيفُ في يده، فخُيّل لي أنّه يريد أن يضربني به. فنظرت إليه وقلت له: ياشقير أعطِ السلاح لبكتوت يحمله، وتوجّه أنت مكانه.

قال بكتوت: فقلت للسلطان: أعيذ مولانا بالله أن يخطر هذا بباله، ولاجين أقلّ من هذا، وأضعف نفساً أن يخطر هذا بباله، فضلاً أن يقدم عليه، وهومملوك مولانا السلطان، ومملوك الشهيد، وتربية بيته الشريف، فقال: ماعرّفتك إلاّ ماخطر لي.

ثمّ إنّي اجتمعت بلاجين في خلوة وقلت له: بالله، تجنّب السلطان ولاتكثر من حمل السلاح، وأخبرته بما قال. فضحك وقال: والله لمّا نظر إليّ وقال لي:«ياشقير»، كنت قد عزمت على تجريد سيفه وقتله به.

فعدّ هذا من أعجب العجب، وصدق حدس السلطان وتولّى لاجين قتلَه.

ومن شجاعته أنّ كيختوا بن هولاكو بن ملك التتار بعث في سنة اثنتين وتسعين وستّمائة رسله بكتابه، وقالوا له مشافهة: القان يقصد دخول حلب والإقامة بها، فإنّها ممّا فتحه أبوه هولاكو بسيفه، وهي في ملكه، وإن لم يسمح بها، عبر إلى الشام.

فأجابهم في الحال من غير توقّف، وهو يبتسم وقال: الحمد لله قد وافق أخي القان ماكان في نفسي، وتحدّثتُ به مع أمراء دولتي: أنّي أسير أطلب من أخي بغداد، فإن لم يسمح بها ركبت وأخذتها بعسكري، وخربت بلاده، وقتلت رجاله وفتحتُها قهراً وأقمتُ بها نائباً عنّي، فإنّ بغداد هي دار الإسلام، وأرجو أن أعيدها للإسلام كما كانت، ولكن عرفوه: سننظر من يسبق إلى بلاد صاحبه ويدخل إليها.

وأخرجهم إلى حيث أنزلهم ، وكتب في الحال إلى نوّاب الشام بتجهيز الإقامات وأخذ العساكر الأهبةَ لعبور الفرات وغزو بغداد، وتقدّم إلى أمراء مصر وعساكرها بلبس آلة الحرب والحضور إلى الميدان. وأنزل بالرسل لمشاهدة العسكر، فخرج معظم أهل القاهرة ومصر ليروا عرض

العساكر، وكان يوماً مشهوداً، ركب فيه السلطان بعد أذانِ الظهر وعليه قرقلٍ وفوق رأسه كوفيّة وبيده شطفة، ودخل الميدان، وبعده الأمراء واحداً بعد واحدٍ وعليهم أ فخر آلات الحرب، وكلّ منهم يحمل شطفة فيها رُنكه، فكرّوا وفرّوا وأظهروا أعمالهم الحربيّة، إلى أن أذّن العصر، فدهش الرسل لما رأوا.

وكان هذا ثالث عرض عرضه في مدّة سلطنته، فلمّا انقضى أمرهم نزل وخلع وأنعم، واستدعى الرسل وقال لهم: أعلموا أخي كيختوا أنّ مَن يكون معه مثل هذا العسكر(لا) يتوقّف في دخول بلادك أو بلاد غيرك، والله، وتربة أبي، لأدخلن إليه و أخرّب بيوت جميع المغل وأجعلها بلاد إسلام إلى يوم القيامة، إلاّ أن يدركني أجلي.

ثمّ خلع عليهم وردّهم، وكتب يستحثّ النّواب فعاجلته منيّته قبل بلوغ أمله عقيب ذلك.

وكان عزاؤه من الأمور المذكورة: فإنّ زوجته الخاتون أردكين بنت نوكاي استأذنت في عمل العزاء، فمرّت في القاهرة ومعها مائة جارية وثلاثون خادماً وعدّة بابيّة ومماليك صغار، وقد حسر الجواري عن وجوههنّ وأرسلن شعورهنّ من ورائهنّ محلولة، وعليهنّ جلال سود، وعُبّي مخرّقة في أعناقهنّ، ومعهنّ عدّة جوق من النوائح المحزنة أصواتهنّ وقد أشعلت معهنّ ستّين شمعة، وعدّة كبيرةٌ من الفوانيس يحملها الخدم والبابيّة والنوائح يندبن، والجواري يصحن، وكان من قول النوائح بالأصوات الشجيّة:

جدّدوا همّي وأحزاني
وافرحة الأعدا بسلطاني
ياضاربه بالسيف شلّت يداك
قد بلغت يمناك منه مناك

لامـــاتنــــي ربي حتـــــى أراك
قــدسمّـــروا عينيـــك وهـــذا جـــزاك

إلى غير هـذا. فأقمـن على هذا سـتّ ليـال، كل ليلـة من العشـاء إلى السحـر حتى قلـق الناس وكثـر توجّعهـم وبكـاؤهم، فهـاجت حفـائظ المماليـك الأشرفيّة واجتمعـوا إلى الأمير سنجـر الشجـاعيّ وبكـوا عنـده، فهيّجه بكـاؤهم، واجتمع بكتبغا النـائب وغيره من الأمراء حتى كـان من قتل الأمراء ماذكر في موضعه.

وكان بطلاً شجاعـاً مهاباً عالي الهمّة، يملأالعين ويـرجف القلب:وكان ضخماً سميناً، كبير الوجه، بديع الجمال، مستـدير اللحية على وجهه رونق الحسن وهيبة السلطنة.

وكان إلى جـوده وبذلـه الأموال في أغـراضه المنتهـى، تخافه الملـوك في أقطارها، أباد جماعة من كبار الدولة.

وكان منهمكـاً على اللذّات لايعبأ بالتحـرّز على نفسه لفرط شجـاعته. وكان كرمه زائداً وإطلاقاته عظيمة.

وكانت واقعتُـه تُسمَّى وقعة الأيدي والأكتاف لأنّ جميـع من وافق على قتله قطعـت أيديهم أوّلاً، وفيهم مـن سمّر، وفيهـم من أُحرق، وفيهـم من قتل.

ولم يجدّد في زمانـه مظلمة ولااستجـدّ ضمانَ مكس، وكـان يحبّ الشام وأهله، وكان عنـدما أقيم سلطانـاً، منع أن يكتب إلى أحدٍ بـدعاء في أوّل المكاتبـة مثل: حرس الله نعمـة المجلس، وماأشبـه ذلك، وقال: مـن هو الذي افتتح خطابه بالدعاء له؟

ولمّا توفّي فتح الدين ابن عبد الظاهر، وأقام بعدَه عمادَ الدين ابنَ الأثير في كتابة السرّ بعث إليه ورقة بخطّه فيها: ياعماد، أكتب كيت وكيت، ثمّ بعد مدّة جاءت إليه منه ورقة فيها بخطّه: ياعماد الدين، أكتب بكذا وكذا، ثمّ بعد مدّة جاءته ورقة فيها: ياعماد الدين كاتب سرّنا، أكتب بكذا وكذا.

وكان الموقّعون يكتبون في الطرّة إشارة إلى مايعلّمه السلطان، على قدر المكاتبة، إمّا أن يكتب: «آمره» أو يقولون«بيبرس» أو«قلاوون» أو «خليل» بحسب اسم السلطان. فأبطل ذلك ابن عبد الظاهر في أيّام الأشرف—أعني كتابة«خليل»— وكتب:«الاسم الشريف». فأعجب السلطانَ ذلك وأمر لكّل حرف بألف درهم. ووجدت أوراق كثيرة عند شرف الدين فضل الله كاتب السرّ بخطّ الأشرف إليه وفيها مقاصد مايكتبه عنه بعبارة مسدّدة، ومقاصد مستوفاة للغرض المقصود، وفي بعضها بخطّ يده:عجباً عجباً لذهنك الوقّاد وفكرك النقّاد، كيف فاتك هذا؟

وكان فيها ماكتب إلى أبي نميّ، ومن جملته: فرَكَنتَ إلى الظاهر وهو أخبث الطير، وأنت أحذر الوحش.

وفيه يقول شمس الدين محمد بن سليّمان بن غانم:

مَلِيكَانِ قد لُقِّبا بالصَّلاح فهذا خَليلٌ وذا يوسُفُ
فيوسفُ لاشَكَّ في فضلِه ولكنَّ خَليلٌ هوَ الأشرف

وذكر ابن عبد الظاهر أنّ شرف الدين البوصيريّ رأى في منامه قبل الحركة إلى عكّا في شوّال سنة تسع وثمانين وستّمائة—وقال ذلك لجماعة شهدوا بصحّة ذلك— وكأنّ قائلاً يُنشد:

قد أخذ المسلمون عَكّا
وأشبعوا الكافرين صَكّا
وساقَ سُلطاننا إليهم
خَيلاً تَدُكُّ الجبال دَكّا
وأقسم التُّرك منذ سارت
لا تَركوا للفرنج مُلكا

وقال فيه ابن دانيال لمّا فتح عكّا:

ما رأى الناسُ مثل مُلكك مُلكاً
ملأ الخافقَين للحرب تُركا
وجُيوشاً لو صادمَت جبلَ الشِّرْ
كِ لدَكّته بالسَّنابك دَكّا

منها:

قد رأينا وأنت أنت صَلاحُ الـ
ـدين ما كان عن سَمِيك يُحكَى
صِدت صيدا فنصاً وصورَ وعَثْليـ
ـثَ وبيروتَ بعد فتحِك عَكّا

وله فيه أمداح كثيرة، من ذلك قصيدةٍ مدحه بها لمّا عمرّ الإيوان الذي بالقلعة وقد زخرفه وعلَّى قُبَّته:

وقُبّة هي للأفلاكِ عاشِرةٌ
ودُونَها في علوِّ الشأنِ كِيوانُ
كأنّها العالمُ العُلْويُّ تحرسُها
الأملاكُ لم يدنُ منها ثَمَّ شيطانُ
عَلَتْ فأفلاكُها الأفلاكُ في شَرفٍ
وتبرُها الشُّهْبُ والأركان أركانُ
وأنتَ يا أشرف الأملاكِ شمسُ عُلا
سمائها وعلى ظنّي سُليمانُ

وتحت دِهليزك الزاهي بزركشةٍ
مِن كُلّ ما تتمنّى النفسُ ألوانُ
والجيشُ بالقَبَقِ المنصور قد ولِعُوا
بكِلّ طائشةٍ والقوسُ مِرنانُ
كأنّما العرضُ يومَ العرضِ إذ عُرضوا
عليه صفاً ولا لإعطاء ميزانُ

وكان مُغرّى بالهدم، لأنّه هدم أماكن، وفيه يقول علاء الدين الوَداعيّ لمّا أمر بهدم الأماكن التي تجاور الميدان بدمشق، ووزّع عمارته على الأمراء. ومن خطّه نقلت:

إنْ أمَرَ السلطانُ في جلّقٍ
بهدم ما ضايقَ ميدانَه
فإنّه قد غارَ لمّا رأى
غير بيوتِ اللهِ جيرانَهُ

وقال أيضاً:

جُزيتُم أيّها الأمراءُ خيراً
على إتقانكم هذي البنيّهْ
فلا تخشَوا على الميدانِ شيئاً
سوى سَيلِ العطايا الأشرفيّهْ

فاتّفق أنّ السلطان حضر بعد ذلك، وأنفق في ا لعساكر.

وقال الشهاب محمود، لمّا فتح عكّا، قصيدته البائيّة المشهورة، يمدحه بها وهي:

الحمدُ للهِ زالت دولةُ الصُّلُبِ
وعزّ بالتُّركِ دينُ المصطفى العَربي
هذا الذي كانت الآمال لو طلَبت
رؤياهُ في النوم لاستحَيت من الطلبِ

ما بعدَ عكّا وقد هُدَّتْ قواعدُها
في البحرِ للشِّركِ عندَ البرِّ من أرَبِ
عَقَيلةٌ ذهَبَت أيدي الخُطوبِ بها
دهراً وشُدَّتْ عليها كفُّ مُغتصِبِ
لم يبقَ من بعدها للكُفرِ مُذْ خَرِبت
في البرِّ والبحرِ ما يُنجي سوى الهَرَبِ
كانت تُخيِّلُنا آمالُنا فنرى
أنّ التفكُّرَ فيها غايةُ العَجَبِ
أمُّ الحُروبِ فكم قد أنشأت فِتَناً
شابَ الوليدُ بها هَولاً ولم تَشِبِ
سُورانِ، بَرّاً وبحراً حولَ ساحتِها
دارا وأدناهُما أنأى من القُطُبِ
خَرْقاءُ أمنعَ سُورَيها وأحصنَهَا
غُلْبُ الرجالِ وأقواها على النُّوبِ
مُصفَّحٌ بصِفاحٍ حولَها أكَمٌ
من الرِّماحِ وأبراجٌ من اليَلَبِ
مِثلُ الغمائمِ تهدي من صَواعِقِها
بالنَّبلِ أضعافَ ما تهدي من السُّحُبِ
كأنّما كلُّ بُرجٍ حولَه فَلَكٌ
من المجانيقِ يَرمي الأرضَ بالشُّهُبِ
فَفاجأتْها جُنودُ اللهِ يقدُمُها
غضبانُ للهِ لا للمُلكِ والنَّشَبِ
لَيثٌ أبى أن يردَّ الوجهَ عن أمَمٍ
يدعونَ رَبَّ العُلَى سُبحانه بأبِ
كم رامَها ورماها قبلَه مَلِكٌ
جَمُّ الجيوشِ فلم يظفرْ ولم يُجِبِ
لم يُلهِهِ مُلكُه بل في أوائلِه
نالَ الذي لم ينلْهُ الناسُ في الحِقَبِ

obeikandi.com

لم تَـرضَ هِمَّتُـه إلاّ الـذي قَعَـدت
للعجز عنـه مُلوكُ العُجْـمِ والعَـربِ
فـأصبَحـت وهـي في بحـرَيْـنِ مـاثلـةٌ
مـا بينَ مُضطَـرِمٍ نـاراً ومضْطـربِ
جيشٌ مـن التُّركِ تَـرْكُ الحربِ عنـدهُـمُ
عـارٌ وراحتُهـم ضَربٌ مـن الضَّرَبِ
خاضُوا إليها الرَّدى والبحرَ فاشتَبَه الـ
أمـرانِ واختلفا في الحال والسَّببِ
تَسنَّمـوهـا فلـم يترُكْ تسنُّمهـم
في ذلك الأفـقِ بُـرجـاً غيرَ مُنقلـبِ
تسلَّمـوهـا فلـم تَخلُ الـرقـابُ بها
مـن فتـكِ منتقـمٍ أو كـف منتَهـبِ
أتـوا حماها فلـم يمنـعْ وقـد وثَبـوا
عنهـا مجانيقَهـم شيئـاً ولم تَثـبِ
يـا يـوم عكّـا لقـد أنسيتَ مـا سَبقت
بـه الفتـوحُ ومـا قـد خُـطَّ في الكُتُـبِ
لم يبلُـغ النُّطْـقُ حـدَّ الشكـرِ منـك فما
عسَـى يقـومُ بـه ذو الشعـر والخُطَـبِ
كـانـت تُمنِّـي بـكَ الأيّـامُ مبعِـدةٌ
فـالحمـدُ لله نلنـا ذاك عـن كثَـبِ
أغضَبْـتَ عُبّـادَ عيسَـى إذْ أبَـدتَهُمُ
للهِ أيُّ رضًـى في ذلـك الغضـبِ
وأطلـع الله جيـش النصر فـابتـدرت
طـلائعُ الفتـح بين السُّمْـر والقُضُـبِ
وأشرفَ المصطفـى الهادي البشيرُ على
مـا أسلـف الأشرف السلطـان مـن قُـربِ
فَقَـرَّ عينـاً بهذا الفتـح وابتهجَـت
بفتحـه الكعبـةُ الغَـرّاءُ في الحجُـبِ



obeikandi.com

وسارَ في الأرض سير الريح سُمعتهُ
فالبرُّ في طَربٍ والبحرُ في حَرَبِ
وخاضَت البيضُ في بحر الدماء وما
أبدَتْ من البيض إلاَّ ساق مُختضبِ
وغاصَ زُرق القَنا في زُرق أعينهم
كأنّها شَطَنٌ تهوي إلى قُلُبِ
توقَّدت وهي غرقَى في دمائهمُ
فزادها الطَّفحُ منها شِدَّةَ اللهبِ
أجرتْ إلى البحرِ بحراً من دمائهمُ
فراحَ كالراحِ إذ غرقاه كالحبَبِ
وذابَ من حرها عنهم حديدُهمُ
فقيَّدتهم به ذُعراً يد الرَّهبِ
تحكَّمت وسَطَت فيهم قَواضبُها
قتلاً وعفَّت لحاويها عن السَّلَبِ
كم أبرزَت بطَلاً كالطَّودِ قد بطَلَت
حواسُّه فغدا كالمنزلِ الخربِ
كأنّه وَسنانُ الرمح يطلبُه
بُرجٌ هَوَى ووراه كوكبُ الذَّنبِ
بُشراكَ يا ملكَ الدنيا لقد شَرُفَتْ
بكَ الممالكُ واستعلَت على الرُّتَبِ
ما بعد عَكّا وقد لانت عريكتُها
لديكَ شيءٌ تُلاقيه على تَعَبِ
فانهضْ إلى الأرضِ فالدّنيا بأجمعها
مُدَّتْ إليك فواصِلها بلا نَصَبِ
كم قد دَعَت وهي في أسر العدَى زمناً
صِيدَ الملوكِ فلم تُسْمَعْ ولم تُجَبِ
أتيتَها يا صلاح الدين معتقداً
بأنَّ داعي صلاح الدين لم يَخِبِ

أسَلْتَ فيها كما سالت دماؤهُمُ
من قبل إحرازها بحراً من الذهبِ
أدركتَ ثأرَ صلاح الدين إذ غصِبَتْ
منه لسرٍّ طواهُ اللهُ في اللَّقَبِ
وجئتها بجيوش كالسيول على
أمثالها بين آجامٍ من القُضُبِ
وحُطْتَها بالمجانيقِ التي وقفت
إزاءَ جدرانِها في جَحفلٍ لجِبِ
مرفوعةً نصبُوا أضعافها فغدا
للكسر والحَطْم منها كلُّ منتصِبِ
ورُضتَها بنقوبٍ ذَلَّلت شَمَماً
منها وأبدَت مُحيّاها بلا تعَبِ
وغنَّت البيضُ في الأعناق فارتقصت
ابراجها لعبا منهن باللعب
وخلقت بالدم الأسوار فانفغمت
طيباً ولولا دماءُ الخبثِ لم تَطبِ
وأبرزت كلَّ خَوّدٍ كاعِبٍ نثَرت
رؤوسَهم حين زفّوها بلا طَرَبِ
باتت وقد جاورتنا شزاً وغدَت
طَوْعَ الهَوى في يَدي جيرانها الجُنُبِ
بل أحرزتهم ولكن للسيوف لكيْ
لا يلتجي أحدٌ منهم إلى الهَرَبِ
وجالت النارُ في أرجائها وعلَت
فأطفأت ما بصدر الدين من كَرَبِ
أضحَتْ أبا لَهَبٍ تلك البروجُ وقد
كانت بتعليقِها (حمّالةَ الحطَبِ)
وأفلتَ البحرُ منهم من يخبِّرُ مَنْ
يلقاه من قومه بالوَيْلِ والحَرَبِ
وتمَّت النعمةُ العُظمى وقد كَمُلَت
بفتح صورَ بلا حصرٍ ولا نَصَبِ

أختـــانِ في أنّ كـــلاًّ منهما جمعـــتْ
صَليبـةَ الكفـر لا أختـانِ في النَسـبِ
«لمّا رأت أُختَهـا بـالأمـس قـد خَـرِبـت
كـانَ الخرابُ لها أعـدَى مـن الجرَبِ»
اللهُ أعطـاكَ مُلـكَ البحـر إذ جَمعـت
لـكَ السعـادةُ ملـكَ البرِّ والعَـربِ
مـن كـان مبـدؤه عكّـا وصـورَ معـاً
فـالصينُ أدنـى إلى كفَّيـهِ مـن حلَـبِ
عـلا بـكَ الملـكُ حتـى إنّ قُبَّتَـه
على البرايـا غَـدت ممـدودة الطُنُـبِ
فـلا بـرِحْـتَ قـريـرَ العينِ مبتهجـاً
بكـلِّ فتـحٍ مبين المنْـحِ مُـرتَقَـبِ



obeikandl.com

# طغتين بن أيوب

طغتكين بن أيوب بن شاذي بن مروان، الملك العزيز، سيف الإسلام، ظهير الدين، ابن الأجلّ نجم الدين والد الملوك أبي الشكر، الأيوبي، الكرديُّ.

قدم إلى القاهرة على أخيه السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب، وسمع بالإسكندرية من السلفيّ.

ثمّ جهزه السلطان إلى بلاد اليمن فخرج من القاهرة في سنة ثمان وسبعين وخمسمائة، وسار إلى زبيد وملكها، وأخذ منها ماقيمتُه ألف ألف دينار، واستولى على عدن، ودانت له ممالكُها.

وشُكرت سِيرتُهُ وحسنت سياستُه. وقصده الناس من الآفاق فأفاض عليهم من برّه وغمرهم بإحسانه، ومدحه غير واحدٍ من الشعراء، منهم ابن عنين، وكان قد رحل إليه من دمشق.

ولم يزل باليمن حتى مات بها في شوّال سنة ثلاث وتسعين وخمسمائة.

وقام من بعده ابنُه الملك المعزّ فتح الدين إسماعيل.

# شمس الدولة ابن منقذ

عبد الرحمن بن محمد بن مرشد بن عليّ بن مقلد بن منقذ، أبو الحسين، وأبو الحارث، ابن أبي سلامة، الشيزريّ، أمير أديب فاضل.

مولده بشيزر يوم الأحد سابع شهر رمضان سنة ثلاث وعشرين وخمسمائة. وقدم إلى القاهرة، وبعثه السلطان صلاح الدين يوسف رسولاً إلى المغرب عند حصار عكّا، فنزل الإسكندرية وسمع الحافظ السِلّفيّ. وسمع بفاس من أبي الحسن علي بن محمد بن فرحون، وعاد.

وكتب من الإسكندرية إلى سيف الدولة عند عوده من المغرب إليها:

ذكرتُك في سَلاَ والقلبُ عنكم
على فرط التنائي غيرُ سال
وفي آسفي خلى أسف عليكم
وأشواق تجدّدها الليالي
على البحر المحيط حططتُ رحلي
منازل لم تكن يوماً ببالي
بلاد لو سرى طيف إليها
لأعجزه الوصول من الكلال
ولو ريحُ الصبا طلبت هبوباً
إليها لاستعانت بالشمال
تملّ من المسير الشمس حتّى
توافيها على فرط الملال
وأعجب ما رأيت بها رجوعي
إليكم وهو أغربُ ما جرى لي

وكتب إلى مجد الدين أسامة بن منقذ:

أأحبابنا عزّ اللقاءُ وما أرى
تمادي لهذا البين يُفضي إلى حدّ

إذا قلت قد آن التداني تجدّدت
خطوب من الأيّام تحكم بالبعدِ
ولستُ ألوم الدهر فيما أصابني
لأنّ التنائي كان منّي على عمدِ
وبُعدك مجدّ الدين أعظم خطّة
لقيتُ، وما حال المفارق للمجد؟

وكتب إليه:
إن كانت الكتب فيما بيننا انقطعَت
فإنّ حبلَ ودادي غيرُ منقطعِ
وإن تصدعَ شملي عن جنابكُمُ
فإنّ شملَ تنائي غير منْصدع

وقال:
يَقولون: لو كان الهوى منه صادقاً
لأصبح مغرّى بالفراق وذمّه
ولولا احتجاجي بالتفرّق والنوى
لمّا فُزت في يوم الوداع بلثمه

وكانت وفاته بالقاهرة أول سنة ستمائة

# المأمون البطائحيّ

محمد بن فاتك بن مختار بن حسن بن تمام، الوزير الأجل، المأمون،

تاج الخلافة، وجيهُ الملك، فخر الصنائع، ذخرُ أمير المؤمنين، عزّ الإسلام، فخر الأنام، نظام الدين، أمير ا لجيوش، سيف الإسلام، ناصر الإمام، كافل قضاة المسلمين، وهادي دعاة المؤمنين—ثمّ استقرّ من نُعُوته: السيّد الأجلّ أمير الجيوش، سيف الاسلام، ناصر الإمام، كافل قضاة ا لمسلمين وهادي دعاة المؤمنين، عضد الله به الدين وأمتع بطول بقائه أميرَ المؤمنين، وأدام قدرتَّه وأعلى كلمته— أبو عبد الله، ابن الأمير نور الدولة أبي شجاع(فاتك)، ابن الأمير منجد الدولة أبي الحسن(مختار)، ابن الأمير أمين الدولة أبي عليّ، المعروف بابن البطائحيّ، الأحول، الشيعيّ، الإماميّ.

ولد في سنة ثمان —أو سنة تسع— وسبعين وأربعمائة.واتصل بخدمة الأفضل شاهنشاه ابن أمير الجيوش بدر الجماليّ، في شهور إحدى وخمسمائة، عوضاً عن تاج المعالي مختار، وسلّم إليه ماكان بيد مختار من الخدمة، وتصرّف فيها، وأجرى له الأفضل ماكان برسم مختار من العين، وهو مائة دينار وثلاثون ديناراً في الشهر، سوى الأصناف الراتبة في اليوم والشهر. فحسُن عند الأفضل موقعُ خدمته وسلّم إليه جميعَ أموره وصرّفه في سائر أحواله، فاستعان بأخوَيه أبي تراب حيدرة، وأبي الفضل جعفر، ونُعِت بالقائد فصار عند الأفضل استاذ داره.

فلم يزل على ذلك إلى أن قُتل الأفضل، فخلع عليه الخليفة الآمر بأحكام الله أبو عليّ منصور في مستهلّ ذي القعدة سنةخمس عشرة وخمسمائة بمجلس اللعبة من القصر،والآمر جالس، ولم يخلع على أحدٍ قبله بهذا المجلس. وكانت ا لخلعة بدلةً مذهّبة بشدّة الخليفة الدائمية،

وحلّت المنطقة من وسطه، و أخلع على ولده بدلة مذهبة، وحّلت منطقته، وخلع على أخويه بمثل ذلك.

واستمرّ ينفذ الأمور، ولايخرج شيء عن نظره، والخليفة يواصلُ الحديث معه في الوزارة وهو يمتنع، إلى مستهل ذي الحجة منها: ففي يوم ا لجمعة ثانية، خلع عليه من الملابس الخاصّ الشريفة في فرد كمّ مجلس اللعبة، وطوق بطوق ذهب مرصّع، وقلّد بسيف ذهب مرصّع، وسلّم على الخليفة وخرج، وكافّة الأستاذين المحّنكين والأمراء بين يديه، وركب من حيث كان الأفضل يركب، ومشى القوّاد في ركابه على عادة الأفضل، وخرج من باب العيد راكباً إلى داره، فضاعف الرسومَ وأطلق الهباتِ إلى يوم الاثنين خامس ذي الحجّة المذكور. فاجتمع أمراء الدولة لتقبيل الأرض بين يدي الخليفة على العادة التي قرّرها مستجدّة.

فاستدعى الشيخ أبا الحسن عليّ بن أحمد بن أبي أسامة كاتب الإنشاء، وأمره بإحضار السجّل، فأحضره في لفافة خاصّ مذهبة، وسلّمه الخليفة إلى المأمون من يده، فقبله وسلّمه لزمام القصر. وأمر الخليفةُ المأمون بالجلوس عن يمينه، وقُرىء السجّل على باب المجلس، وهو أوّل سجلّ قُرىء هناك، وكانت السجلاّت عادة تقرأ قبل هذا بالإيوان، ورسم للشيخ أبي الحسن ابن أبي أسامة أن ينقل نسبةَ الأمراء والأستاذين المحنّكين من الآمر إلى المأمون، ولم يكن أحدٌ قبل ذلك ينتسبُ إلى الأفضل ولا لأبيه أمير الجيوش، وإنّما ينتسبون إلى الخليفة، فصاروا ينتسبون إلى المأمون، وقدّمت للمأمون الدواة فعلّم في مجلس الخليفة، وتقدّم الأمراء والأجناد فقبّلوا الأرض وشكروا أمير المؤمنين على هذا الإحسان، واستدعى الخلع لحاجب الحجّاب حسام الملك فأحضرت وأفيضت عليه، وطوّق بطوق ذهب وقُلّد سيف ذهب، وخُلع على الشيخ أبي الحسن ابن أبي أسامة، وعلى أبي البركات ابن أبي الليث متولّي ديوان المجلس، وعلى أبي الرضا سالم ابن الشيخ أبي الحسن، وعلى

أخويه أبي المكرم وأبي محمد، وعلى أبي الفضل يحيى بن سعيد المَيْمَذيّ منشىء مايصدر عن ديوان المكاتبات ومحرّر مايؤمر به من المهمّات، وهو الذ ي قرأ السجلّ، ووصل بدنانير جزيلة، وخلع على أبي الفضائل ابن أبي البركات بن أبي الليث صاحب دفتر المجلس، وعلى غَذِيّ المُلك سعيد بن عماد الضيف، متولّي دار الضيافة وأخذ العلامات على التوقيعات.

وانصرف المأمون إلى داره والموكب بين يديه. وقال القاضي أبو الفتح محمود بن قادوس يمدحه، وقد زيد في نعوته:

قالوا: أتاه النعتُ وهو السيّد الـ
ـمأمون حقاً والأجلُّ الأشرف
ومغيث أمّةِ أحمدٍ ومجيرُها
مازادنا شيئاً على مانعرف

ثمّ إنّه سأل الخليفة أن يتحدّث معه في خلوة، فأمر بخلّو المجلس، فقال: يامولانا، امتثال الأمر صعب ومخالفتُه أصعب، ومايتّسع قدّام أمراء دولة أمير المؤمنين، وهو في دست خلافته، ومنصب آبائه و أجداده، خلافةُ، ومافي قواي مايرومُه منّي، فيكفيني هذا المقدار—وهيهات أن أقوم به— والأمر كبير.

فتغيّر الآمر وحلف: لاكان لي وزير غيرك، وهو في نفسي من أيّام الأفضل، فأعاد الاستعفاء، فتغير الآمر وقال: مااعتقدْت أنّك تخرج عن أمري ولا أنّك تخالفُني، فقال المأمون عند ذلك: فلي شروط أذكرها، فقال: ماشئت فاشرِط، قال: قدكنت مع الأفضل، وهو يجتهد في أن يشرّفني بعدّة النعوت وبحلّ المنطقة من وسطي، فلم أفعل، فقال الخليفة: علمتُ ذلك في وقته، قال: وكان أولاد الأفضل يكتبون إليه بما يعلمه مولانا، من كوني قد خنته في المال والأهل، وماكان والله العظيم منّي يوماً قط، ثمّ مع ذلك معاداة الأهل جميعهم، والأجناد، وأرباب

الطيالس والأقلام، وهو يعطيني كلّ رقعة تصل إليه منهم، وماسمع كلام أحدٍ منهم فيّ، فعند ذلك قال له الخليفة: فإذا كان فعل الأفضل معك ماذكرتُه، إيش يكون فعلي أنا؟

فقال المأمون: يعرّفني المولى مايأمر به، فأمتثله بشرط أن لايكون عليه زائداً.

فأوّل ماابتدأ به الخليفة أن قال: أريدُ الأموالَ لاتُجبى إلاّ بالقصر ولا تصل الكسوات من الطراز والثغور إلاّ إليه، ولاتُفرّق إلاّ منه، وتكون اسمطةُ الأعياد فيه، ويوسّع في رواتب القصور من كلّ صنف، وزيادة رسم المنديل برسم الكمّ.

فقال المأمون: سمعاً وطاعةً، أما الكسوات والجبايات والأسمطة فما تكون إلاّ بالقصر، وأمّا توسعة الرواتب فما ثمَّ مَن يخالف الأمر، وأمّا الزيادة برسم منديل الكمّ، فقد كان الرسمُ في كلّ يوم ثلاثين ديناراً وسيكون في كلّ يوم مائة دينار. ومولانا—سلام الله عليه—يشاهد مايُعمل بعد ذلك في الركوبات وأسمطة الأعياد وغيرها في سائر الأيّام.

ففرح الخليفة وسرّ بذلك. فقال المأمون: أريد بهذا خطّ أمير المؤمنين ويُقسم لي فيه بآبائه الطاهرين أن لايلتفت لحاسدٍ ولامبغض، ومهما ذكر عنّي يُطلِعُني عليه، ولايأمرني بشيء سراً ولاجهراً يكون فيه ذهاب نفسي وا نحطاط قدري، وتكون هذه الأيمان باقيةً إلى وقت وفاتي. فإذا توفيت تكون لأولادي ولمن أخلّفه بعدي.

فحضرت الدواة وكتب ذلك جميعه وأشهد الله في آخرها على نفسه، فعندما حصل الخطُّ بيد المأمون، وقفَ وقبلَ الأرض وجعله على رأسه، وكان الخطُّ بالأيمان في نسختين، إحداهُما في قصبة فضّةٍ، فلمّا قُبض على المأمون أنفَذَ الخليفة طلب ا لأيمان، فنفّذ إليه الذي كان في القصبة

فحرقها لوقتها، قال ابن المأمون: وبقيت النسخة الأخرى عندي، فعدمت في الحركات التي جرت.

وعاد المأمون إلى مجلسه، وأمر بتفرقة كسوة العيد والهبات، وجملة العين ثلاثة آلاف وثلاثمائة(وسبعون) ديناراً، ومن الكسوات مائة قطعة وسبع قطع برسم الأمراء المطوّقين والأستاذين المحنّكين، وكاتب الدست، ومتولي حجبة الباب وغيرهم، وعدّة ماذُبح في ثلاثة أيام النحر وفي عيد الغدير ألفان وخمسمائة وواحدٌ وستّون رأساً، منها: نوق: مائة وسبعة عشر. وبقر: أربعة وعشرون. وجاموس: عشرون. هذا ماينحره الخليفة ويذْبحُه بيده في مُصلّى العيد، وفي المنحر وباب الساباط ويذبح الجزّارون من الكباش ألفين وأربعمائة رأس، والذي أنفق على الأسمطة في هذه الأيّام خارجاً عمّا يعمل بالدار المأمونيّة من الأسمطة، وخارجاً عن القصور الحلوى والقصور المنفوخ التي تصنع بدار الفطرة ألفُ وثلاثمائة وستّة وعشرون ديناراً، ومن السكر برسم القصور والقطع المنفوخ أربعة وعشرون قنطاراً، منها عن قصرين في أوّل يوم خاصّةً اثنا عشر قنطاراً، و(عن) المنفوخ عن الثلاثة الأيّام اثنا عشر قنطاراً.

وكان الأفضل قد أبطل الموالدَ الأربعة: النبويّ، والعلويّ، والفاطميّ، والإمام الحاضر، فأعيدت في سنة ستّ عشرة وخمسمائة.

والذي استقرّ إطلاقه على حكم الاستئمار من الجرايات( المختصة) بالقصور،والرواتب المستجدّة، والمطلق من الطيب، وبذكر الطراز، ومايباع من الثغور ويستعمل بها:(فأوّلها) جراية القصور، والمطلق لها من بيت المال إدراراً لاستقبال النظر المأمونيّ ستّة آلاف وثلاثمائة وثلاثة وأربعون ديناراً، وبرسم منديل الكمّ الخاصّ الآمري عن كلّ يوم مائة دينار، ومقرّر الحمّام في كلّ جمعة مائة دينار. وبرسم الإخوة والأخوات، والسيّدة الملكة والسيّدات والأمير أبي عليّ وإخوته، والموالي،

والمستخدمات ومن استجدَ من الأفضليات ألفان وأربعمائة وثلاثة وأربعون ديناراً. ولم يكن للقصور في الأيّام الأفضلية من الطيب راتب، بل إذا وصلت الهديّةُ والنجاوى من بلاد اليمن تحمل كلّها إلى الإيوان، وينفذ منها للأفضل، ويطلق للخليفة من جملتها فصار في الأيام المأمونيّة الطيب مياومة ومشاهرة.

وماهوبرسم الخاصّ الشريف في الشهر: ندّمثلّث: ثلاثون مثقالاً. عود صَيفيّ:مائة وخمسة دراهم. كافور قديم:خمسة عشرة درهماً. عنبر خام:عشرون مثقالاً. زعفران: عشرون درهما. ماء ورد:ثلاثون درهماً.

وماهو برسم بخور المجلس في الشهر خمسة أيّام السلام:ند مثّلث:عشرة مثاقيل. عود:عشرون درهماً. كافور:ثمانية دراهم، زعفران شعر: عشرة دراهم.

وماهو برسم بخور الحمّام في كلّ ليلة جمعة عن أربع جُمَع في الشهر:ندّ مثلّث: أربعة مثاقيل. عود صيفيّ:عشرة دراهم.

وماهو برسم الإخوة والجهات والسيّدات على مايستقرّ بأسمائهم في كلّ شهر: ندّمثلّث: خمسة وثلاثون مثقالاً. عود صيفيّ: مائة وعشرون درهما. زعفران شعر: خمسون درهماً. عنبر خام: عشرون مثقالاً. كافور قديم: عشرون درهماً. مسك:خمسة عشر مثقالاً. ماء ورد: أربعون رطلاً.

وماهوبرسم المائدة الشريفة، ممّا تستلمه المعلّمة في كلّ شهر: مسك:خمسة عشر مثقالاً. ماء ورد:خمسة عشرة مثقالاً.

وماهو برسم خزانة الشراب الخاصّ في كلّ شهر لتطييب الماء:مسك:ثلاثة مثاقيل. ندّ مثلّث:سبعة مثاقيل. عود صيفيّ:خمسة وثلاثون درهماً. ماء ورد:عشرون رطلاً.

وماهو برسم المواكب الستّة، وهي: الجمعتان الكائنتان في شهر رمضان برسم الجامعَين بالقاهرة، والعيدين، وعيد الغدير، والجوامع والمصلى: ندّ خاصّ: جملة كثيرة لم تضبط.

وعدّة المبخّرين في الموكب ستّة:ثلاثة عن اليمين وثلاثة عن الشمال، وكلّ منهم مشدود الوسط(وفي كمّه فحمٌ برسم تعجيل المدخنة) والمداخن فضّة،وحامل الدرج الفضّة الذي فيه البخور أحدُ مقدّمي بيت المال، وهو يبخرّ طول الطريق، لهذا سوى مداخن كبار في صواني فضة، منها ثلاث صواني، في المحراب إحداهنّ، وفي جانبي المنبر اثنتان، وفي الموضع الذي يجلس فيه الخليفة إلى أن تقام الصلاة صينيّة رابعة.

والبَخور المطلق برسم المأمون في كلّ شهر: ندّ مثلّث: خمسة عشر مثقالاً. عود صيفيّ: ستّون درهماً. عنبر خام:ستّة مثاقيل. كافور قديم:ثمانية دراهم. زعفران شعر:عشرة دراهم. ماء ورد: خمسة عشر رطلاً.

وكان مبلغ الاستئمار في الأيّام الأفضلية في الشهر اثني عشر ألف دينار، فبلغ في الأيام المأمونية إلى سنة ستّ عشرة وخمسمائة ستّة عشر ألف دينار.

وكانت تذكرة الطراز في أيّام الأفضل أحداً وثلاثين ألف دينار، فبلغت في أيّام المأمون ثلاثةوأربعين ألف دينار.

وبلغت رواتب الخاص وما يختص بالقصور من السيدات والجهات والمستخدمات والحواشي والأصحاب والكتّاب وصبيان الخاص، وهوماتشتمل عليه جريدة المطابخ بما فيه من المواسم والأعياد وشهر رمضان ألف دينار، والركوبات الدائمة في يومي السبت والثلاثاء، سبعة وخمسين ألف دينار، خارجاً عن البهائم المختصّة بالوزارة فإنها تساق من المرَاحات السلطانية مع غيرها برسم البطائحيّ. ومقرّر الوزارة في الشهر

عيناً من بيت المال ثلاثة آلاف دينار، منها ماهو عن النيابة في العلامة عن الخليفة ألف دينار، وماهو عن الراتب: ألف وخمسمائة دينار، وماهو عن مائة غلام برسم مجلسيه وخدمته: لكلّ غلام خمسة دنانير في الشهر. وفي السنة الإقطاعات:خمسون ألفَ دينار، منها:دهشور، وجزيرة الذهب، وعدّة صفقات في البلاد.

ومن البساتين ثلاثة:بستان الأمير تميم الذي عُرف بالمعشوق، وبستانان بكوم أشبين.

ومن الشعير والقمح في السنة: عشرون ألف إردبّ، ومن الغنم برسم مطابخه سياقةً من المراحات:ثمانية آلاف رأس. والأحطاب والتوابل: العال والدون، فتطلق لمتولّي مطابخه بحسب مايستدعيه.

واستجدّ بعد الأفضل في الأيّام المأمونيّة من خزائن التفرقةفي كل يوم: اثنا عشر مجمعاً، كلّ بيت مئة عيارة رطل بالميزان، ولكلّ مجمع ثلاثة أرطال جبن تشوير وفاكهة: نصف درهم.

ومن اللبن الرائب بهذه المجامع في كلّ يوم: خمسة وثمانون رطلاً.

واستجدَ أيضاً برسم الخاصّ في كلّ يوم من الحلوى: اثنا عشر جاماً، رطبة ويابسة نصفين، وزنُ كلّ جام من الرطب عشرة أرطال، ومن اليابس ثمانية أرطال.

وانتهى مرتب دار التعبئة في كلّ يوم إلى عشرة دنانير سوى ماهوموظف على البساتين السلطانيّة، وهو النرجس والنينوفران، الأحمر والأصفر، والنخل المُرصَدُ برسم الخاصّ، ومايصل من الفيّوم وثغر الإسكندرية، ومن هذه الدار—يعني للقصور— ولدار الوزارة، وللمناظر في أيّام الركوب والجمع، بخلاف تعبئة الحمّامات، ومايحمل كلّ يوم من

الزهر، وماهو برسم خزانة الكسوة الخاصّ، وبرسم المائدة، وتفرقة الثمرة الصيفية في كلّ سنة على الجهات والسيدات والحواشي والأصحاب، ومايحمل لدار الوزارة والضيوف وحاشية دار الوزارة.

وبلغ ثمن التوابل، العال منه والدون، وهي المرصدة لخزانة التوابل، إلى خمسين ألف دينار في السنة، سوى مايحمل من البقولات، فإنّه باب مفرد مع المستخدم في البستان الكافوريّ.

وأطلق من استقبال النظر المأمونيّ برسم الشراب من السكر:مائة وخمسة عشر قنطاراً، وبرسم الورد المربىّ: خمسة عشر قنطاراً. ومايطلق برسم استعمال الخَلّيْن، الفاسد والحامض، وقفف البقولات في السنة: ستّة آلاف وخمسمائة دينار. وراتب الأوطية في كلّ شهر:ثمانون زوجاً، منها برسم الخاصّ: ثلاثون زوجاً،وبرسم الجهات: أربعون، وبرسم الوزارة: عشرة، خارجاً عن السباعيّات، فانّها تستدعى من متولى خزائن الكسوة، وفي كلّ موسم تكون مذهبةً.

وجهز المأمون التذاكر بما يُستعمل كل سنة برسم الخزائن بثغر الإسكندرية ويبتاع من الأصناف من تجار الروم والمغاربة، وهو من السقلاطون الخاصّ، والعتابيّ الخاصّ، والمصمّت الملوّن، والمناديل الصقّلي الممرش الخاصّ، مابين مذهب وحرير، ومن الملاحف الخاصّ، المذهب الحريريّ، مابين مرقوم وساذج، ومن العراضي المشفّع المذهب، والحريري الخام، والتلاثيم المشفع، المذهب والحريريّ، ومن المقصور السوسيّ الإسكندرانيّ شيء كثير جداً، منها: ثمانية عشر ألف مقطع إسكندراني، وألفا منديل—يعني عمامة— وألفان وخمسمائة فوطة خاصّ حرير.

وخرجت التذاكر أن يبعث إلى الأندلس فيشترى من البلّور ومن

الحرير الخزّ، ومن المقاطع، ومن البسط، ومن الرصاص والحديد والمسمار والشمع.

وبعث إلى المهديّة ليشترى منها الزيت والصابون واللوز، ومقاطع السوسيّ وتشترى من صقّلية الطيافر والموائد والمناديل والكيزان والفراء الفاقم والسنجاب والسفر الأدم.

ويشترى من بلاد الروم الفضّة النقرة والمصاغ والجوهر والديباج الأطلس والخشب والحديد والزفت والمراسي والقنب والنحاس والرصاص.

وخرجت التذاكر إلى مشارف الغربيّة بابتياع ماجرت به العادة في كلّ سنة من الأردية الريفيّة، ومناديل الأكمام، الخام والمقصور، وشقق محليّة خام، ومقصور عمل جوجر، والدميرتين، شيء كثير، منها من الشقق خاصّة: ثمانية آلاف شقّة.

واستدعى الشمع والعسل من الخلايا الجارية في الديوان بالأعمال.

واستدعى النوق من العربان، وتقدّم إليهم بتحصيلها ويقام لهم ثمنُها.

وبعث إلى عسقلان تذكرة باستعمال الشقق المطّرز الساذج، وابتياع مايرد من الشقق العتابيّ، والسقلاطون الدمشقيّ، والخزّ الحلبيّ، والنصافيّ، العال والدون مابين خام ومقصور، وابتياع القلوتات والقراصيا، والزيت، والسماق، ونحو ذلك، برسم الخزائن.

وندب إلى الوجه القبليّ من يحمل غلاّتها جميعها إلى الديوان بحكم أنّ جميعها محلول من الإقطاعات.

وحمل من الأعمال البحريّة والجيزة والجزيرتين والغربيّة والأعمال

الشرقيّة إلى ثغري صور وعسقلان ماجرت به العادة في كلّ سنة، وهومائةألف وعشرون إردبّ: برسم صور:سبعون ألف إردب. وبرسم عسقلان: خمسون ألف إردب، لتبقى بالثغور ذخيرة بها، ويُبَاع مابقي من المخزون عند الغنى عنه، وكان المتحصّل للديوان في كلّ سنة ألف إردب.

وندب من يحمل ماجرت به العادة من القشّة في كلّ سنة: وهي وسقُ خمسين مركباً، مابين نخل وجريد وسلب وسحيل وطوانس، تساق إلى الحواصل، خارجاً عمّا يقطع ويحدّد برسم الجسور.

وعمِل حُزن عاشوراء بالقصر، ومدّ السماط المعتاد، وجميعه بالخبز والشعير والحواضر، وتقدّم إلى واليي مصر والقاهرة بأن لايمكّنا أحداً من جمع ولاقراءة مصرع الحسين عليه السلام.

وأخرج الرسم المطلق للمتصدّرين والقرّاء الخاصّ والوعّاظ والشعراء وغيرهم، على ماجرت به العادة.

وعمل المولد الآمريّ، فقرّر أن تُعمل فيه أربعون صينيّة خُشْكان وحلوى، تفرّق.

وأطلق رسم المشاهد، لكلّ مشهد سكّر وعسل ولوز ودقيق وشيرج، وتقدّم بعمل خمسمائة رطل حلوى سوى ذلك، فرّقت على المتصدّرين والقرّاء والفقراء ومن معهم، فحُمل للمتصدّرين في صحون، وللفقراء على أرغفة السميد.

وأُخرج من بيت المال صندوق مختوم ضمنه مائة دينار عيناً، وألف وثمانمائة وعشرون درهما، برسم أهل القرافة ومساكينها.

وقام بأمور ركوب الخليفة في يومي السبت والثلاثاء.

وكان المأمون يركب من داره في هذين اليومين بالرَهجيّة فيتوجّه إلى القصر، فيركب الخليفة إلى ضواحي القاهرة للنزهة في مثل الروضة، والمشتهى، ودار الملك، والتاج، والبَعْل، وقبّة الهواء، والخمسة الأوجه، والبستان الكبير.

وسلّم الرسوم لأربابها، وهي بيد مقدّمي ركاب الخليفة، لكلّ منهم أحد وعشرون ديناراً وخمسون رباعياً، ولتالي مقدّم ركاب اليمين مائة كاغدة في كلّ كاغدة ثلاثة دراهم، ومائة كاغدة في كلّ واحدة درهمان، ولتالي مقدّم ركاب الشمال مثل ذلك.

فأمّا الدنانير فلكلّ باب يخرج منه الخليفة من أبواب البلد دينار، ولكلّ باب يدخل منه دينار، ولكلّ جامع يجتاز عليه دينار، إلاّ جامع مصر، فإنّ رسمَه خمسة دنانير، ولكلّ مسجد يجتاز عليه رباعيّ، ولكلّ من يقف منهم كاغدة. ولكلّ فرس يركبُه ديناران، هذا ومتولّي صناديق الإنفاق يحجب الخليفة وبيده خريطة ديباج فيها خمسمائة دينار لما عساه يأمر به. فإذا حصل بإحدى المناظر، فرّق من العين سبعة وخمسين ديناراً ومائة وثمانين رباعياً، في الحواشي، والأستاذين، وأصحاب الدواوين، والشعراء، والمؤذّنين، والمقرئين، والمنجمين.

ومن الخراف الشواء: خمسون رأساً، منها: طبقان حارّة مكملة مشورة برسم المائدة الخاصّ، مضافاً لما يحضر من القصور من الموائد الخاصّ والحلاوات، وطبق واحد برسم المأمونيّة، والبقيّة بأسماء أربابها، ورأسا بقر برسم الهرائس. فإذا جلس الخليفة استدعى على المائدة المأمون وأولاده وإخوته، ومَن جرت له عادة بجلوسه معه، ومن تأخرّ عن المائدة منهم حمل إليه مايكفيه.

فإذا عاد الخليفة إلى القصر يحاسب الوزير مقدّمي الركاب على

ماصرف في مسافة الطريق على المساجد والجوامع وغيرها، وتقلّدوا الأمانة فيما فرّقوه في الصدقات، والذي يتولّى محاسبتَهم متولّي الدفتر.

وكان المأمون يجلس في يومي الأحد والأربعاء بداره على سبيل الراحة، والنفقة في العسكر الفارس البساطيّة إلى الظهر، ثمّ ترتفع النفقة ويحطّ السماط للناس. فإذا كان بعد العصر، جلس، والكتّاب بين يديه فينفق في الراجل إلى آخر النهار.

وفي يومَي الاثنين والخميس يكون الركوب للسلام على الخليفة والخدمة بالقصر.

وفي يوم الجمعة يركب المأمون إلى القرافة أحياناً، ويطلق دائماً في كلّ يوم جمعة للمقرئين بالحضرة خمسة دنانير، ولكلّ من هو مستمرّ القراءة على بابه من الضعفاء والأضراء خمسمائة درهم، مقرّرة بأسماء. ولبقية الضُّعفاء والمساكين خمسمائة درهم أخرى.

وبلغه أنّ أحد صبيان الخاصّ الآمريّ شتم صاحب الشريعة، فأخرج سيف النقمة وضرب عنقه به، بعد أن شهد عليه عدلان وجماعة كثيرة.

وتقدّم بعمل حساب الدولة من الهلاليّ والخراجيّ إلى آخر سنة ستّ عشرة وخمسمائة، فانعقدت على جملة كبيرة من عين وغلة، فأمر بكتابة سجلّ يتضمّن المصالحة بالبواقي، وجملتها ألفا ألف دينار وسبعمائة ألف دينار وعشرون ألف دينار وسبعمائة دينار وسبعة وسبعون ديناراً وكسر، ومن الفضّة النقرة أربعة دراهم. ومن النوق سبعة وستّون ألفاً وخمسة دراهم وكسر، ومن الغلّة ثلاثة آلاف ألف وثمانمائة ألف وعشرة آلاف ومائتان وثلاثون إردبّاً وكسر، ومن الأرز أربعمائة وستّة وسبعون إردبّاً وكسر، ومن الأصناف شيء كثير يطول تفصيله.

ومن الأغنام مائتا ألف وخمسة وثلاثون ألفاً وثلاثمائة وخمسة أرؤس.

ومن الأبقار اثنان وعشرون ألفاً ومائة وأربعة وستّون رأساً.

وقد ذكرت تفصيل الأصناف في كتاب المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار.

وجدّد عمارة المشاهد التسعة التي بين الجبل والقرافة، وبنى مسجداً تجاه باب الخوخة خارج القاهرة على الخليج. ورمّ جامع القرافة، وعمّر بجواره طاحوناً للسبيل، وأقام بها الدواب، وجعل عليها أميناً أطلق له ولعلف الدوابّ مايكفيه ويكفيها. فصار أهل القرافة يطحنون فيها قوتَهم بغير أجرة.

وأمر في آخر جمادى الآخرة أن تغلق جميعُ قاعات الخّمارين بالقاهرة ومصر وتختم، ويحذّر من بيع الخمر، كما جرت به العادة في كلّ سنة احتراماً للأشهر الشريفة. فرأى المأمون أن يكتب بذلك إلى جميع ولاة الأعمال، فكتب به، ونودي: مَن تعرّض لبيع مسكر أوشرائه سراً أو جهراً فقد عرّض نفسه لتلافها، وبرئت الذّمة من هلاكها.

وعمل الأسمطة الجاري بها العادة ليلة أوّل شهر رجب. فلمّا جلس الخليفة على الأسمطة ومعه الوزير، بالغ في الثناء عليه وقال: قد أعدتَ لدولتي بهجتها، وجدّدت فيهامن المحاسن مالم يكن،وقد أخذت الأيّامُ نصيبها من ذلك، وبقيت الليالي، فقدكان بها مواسم زال حكمها، وكان فيها توسعة وبر ونفقات وصدقات، وهي: ليالي الوقود الأربع، وقد آن وقتُهنّ فأشتهي نظرهُنّ.

فامتثل الأمر وحمل إلى القاضي خمسين ديناراً لثمن الشّمع، وأن يعتدّ للركوب في الأربع الليالي، وهي: ليلة أول رجب ونصفه، وليلة مستهلّ

شعبان ونصفه، وتقدّم لمتولّي بيت المال بعمل الحلاوات برسم هذه الليالي.

واستجد في الأيّام المأمونية أيضاً في كلّ ليلة على الاستمرار برسم الخاصّين، الآمريّ والمأمونيّ، قنطار سكّر، ومثقالان مسك. ودينارات برسم المونة تعمل خشكنان وبَسَنْدود وغيره، في قعاب وسلال صفصاف، وهي التي تسمّى اليوم العلب، فيحمل ثلثا ذلك إلى القصر، وثلثه إلى الدار المأمونيّة. وعمل أسمطة شهر رمضان.

فلّما انقضت خلع عليه خلعاً عظيمة، ونزل إلى داره فمدحه عدّة من الشعراء، وحضرت كسوة الشتاء ففرّقت، وكانت جملتُها أربعة عشر ألف قطعة وثلاثمائة وخمس قطع. ووصلت كسوة العيد في آخر شهر رمضان، وهي بنحو عشرين ألف دينار، وعُمل شعار عيد الفطر وأسمطته بزيادة كثيرة في التجمّل، وقد ذكرتُ ذلك في كتاب المواعظ والأعتبار.

ثم عاد المأمون إلى داره، فمدحته الشعراء، فأسنى جوائزهم. وبلغت النفقة على اسمطة شهر رمضان لتسع وعشرين ليلة ستّة عشر ألفاً وأربعمائة وستّة وثلاثين ديناراً، وبرسم القَعَبة(الجفنة) الخاصّة تسعة وثمانون قنطاراً سكّراً ومائة وثمانية وسبعين ديناراً، وبرسم المقرئين والمؤذّنين والمسحرّين تسعة وعشرين قنطاراً سكّراً وثمانية وخمسين ديناراً. والمنفق في شهر رمضان برسم الصدقات والرسوم والتوسعة المطلقة برسم الحاشية والأمراء وصدقات الأقوات بالباب والأعمال والفطرة، والكسوات المختصّة بالغرّة والعيد ماينيف على ستّين ألف دينار ويبلغ مائة ألف دينار، وضرب برسم خميس العدس ماجرت به العادة، وهوخمسمائة دينار عن عشرين ألف خرّوبة. فعمل المأمون ذلك ألف دينار ضربت عشرين ألف خرّوبة فرّقت على أربابها.

ولمّا تنبّه ذكرُ الطائفة النزاريّة، ووصلت الأخبار بأنّهم قد سيّروا مالاً مع التجّار إلى قوم، بأسمائهم، من أهل مصر والقاهرة، تقدّم بالفحص

وحفظ الدروب والأسواق حتّى وجد خمسة وصلوا بالمال من الإسماعيلية ببلاد المشرق، فقبض عليهم وصلبهم.

وعمّر بمنية زفتا جامعاً كبيراً وفرشه وقرّر فيه خطيباً ومؤذّنين، فصارت الجمعة تقام به.

وبنى أيضاً جامعاً بواحات البهنسا، فبلغت عدّة مابناه واستجدّه من المساجد أحداً وأربعين مسجداً.

وبنى بالقاهرة دار ضرب بالقشّاشين(وهي) التي تعرف اليوم بالخّراطين.

ورتّب بداره قارئين يتناوبان قراءة القرآن الكريم ويصلّيان بمن في داره جماعة. ورتّب لها من الرسوم والكساوي شيئاً جزيلاً.

وأمر بعمل ميقاظ حرير فيه ثلاث جلاجل. وفتح طاقة من سور داره. فإذا مضى شطر الليل وانقطع المشي دُلّي الميقاظ، وهناك عدّة يبيتون تحته، فإذا ظلم أحدٌ في الليل جاء وشدّ رقعته في الميقاظ وحرّكه، فيرفعُ إلى المأمون. فإن كانت الرقعة مُرافَعَةً لم يمكّن البيّاتون من رفعها. وان كانت ظلامةمُكن صاحبها من رفعها، وعوّقه البيّاتون عندهم حتى يخرج الجواب.

وحضرت كسوة عيد النحر ففرّقت، وفرّقت رسومها على من جرت عادتهم بها. وجملتها سبعة عشر ألفاً وستّمائة دينار. ونحر الخليفة بيده في الثلاثة الأيّام تسعمائة وستّة وأربعين رأساً، وبلغ المصروف على الأسمطة في الثلاثة الأيّام، خارجاً عن أسمطة المأمون بداره، ألفاً وثلاثمائة وستّة عشر ديناراً وثمانية وأربعين قنطاراً سكّراً برسم قصور الحلاوة، والقطع المنفوخ.

وجلس المأمون في ثالث يوم العيد بداره للراحة، وحضر ا لأمراء لحوائجهم. فلّما كان يوم عيد الغدير هاجَر إلى باب المأمون الضعفاء والمساكين من البلاد، ومن انضاف إليهم من العوال والأدوان على عادتهم في طلب الحلال وتزويج الأيتام. وكان موسماً يرصده كلّ أحدٍ، ويرتقبه الغنيّ والفقير. فجرى في معروفه على رسمه، ومدحه الشعراء.

ووصلت كسوة عيد الغدير، وهي مائة وأربع وأربعون قطعة ففرّقت في أربابها، ومعها رسومها، وهي من العين سبعمائة وتسعون ديناراً. وفرّق المأمون من ماله بعد الخلع عليه ألفين وخمسمائة وثمانين ديناراً.

فلّما انقضى العيد خلع على المأمون وقلّده بالعقد الجوهريّ في عنقه بيده، ومضى إلى داره فمدحه عدّة من الشعراء، وحضر إليه متوليّ خزانة الكسوة الخاصّ بالثياب التي كانت عليه قبل الخلع، فأعطاه الرسم على العادة وهو مائة دينار، ثمّ حضر متوليّ بيت المال وصحبته صندوق ضمنه خمسة آلاف دينار برسم فكاك العقد الجوهر، والسيف المرصّع، ففرّقها.

وركب الخليفة إلى قليوب، ونزل بالبستان العزيزيّ لمشاهدة قصر الورد على العادة، ففرّقت الصدقات في مسافة الطريق وعملت الأسمطةُ، ثمّ عاد آخر النهار.

فلّما أهلّت سنة سبع عشرة وخمسمائة جرَى الرسم في غرّة العام(بحمل مايحضر من عين وورق من ضرب السنة المستجدّة) وتفرقتها والركوب على العادة، وعمل حُزن عاشوراء والمولد الآمريّ. وخلع على المؤتمن سلطان الملوك حيدرة أخي المأمون بولاية الإسكندريّة والأعمال البحريّة.

وفيها رتّب المأمون عدّةً من السقّايين، ستّون كلّ ليلة على باب كلّ معونة بالقاهرة ومصر، معهم عشرة من الفعلة بالطوارىء والمساحي لمهمّ يقع من حريق في الليل، وألزم واليّي القاهرة ومصر أن يقوما بعشائهم من أموالهما، فتقرّر ذلك.

وجرت الرسوم في مواسم السنة على عوائدها، فكان المنفق عيناً من بيت المال من أوّل المحرّم سنة سبع عشرة وخمسمائة إلى آخر ذي الحجّة منها، في العساكر المسيّرة لجهاد الفرنج براً، وفي الأساطيل بحراً، والمنفق في أرباب النفقات مع العسكر بالحضرة، وفي جراية القصور، والمطابخ، ومنديل الكمّ، والأعياد، والمواسم، وعند الركوبات، وثمن الأمتعة المبتاعة من التجّار، والمطلق للرسل والضيوف، وبدار الطراز، ودار الديباج، وبرسم الصلات والصدقات، ومن يهتدي إلى الإسلام، ومَا ينعم به على الولاة عند استخدامهم، ونفقات بيت المال والعمائر، أربعمائة ألفٍ وثمانيّة وستّين ألفاً وتسعمائة وسبعة وتسعين ديناراً ونصف دينار. والحاصِلُ بعد ذلك ممّا يُحمل إلى صناديق الخاصّ لما يتجدّد ثمانية وتسعون ألف دينار. ومائة وسبعة وتسعون ديناراً ونصف.

فجملَة ماتحصل في سنة سبع عشرة وخمسمائة ألف ألف وسبعة وستّون ألفاً ومائة وأربعة وتسعون دنياراً. وذلك سوى المرتّبات في كلّ شهر، وهي في السنة مائتا ألف ومائة دينار، بتتمّة جملة مال السنة سبعمائة ألف وسبعة وستّون ألفاً ومائتان وأربعة وتسعون ديناراً.

ولم يزل المأمون إلى أن قبض عليه ليلة السبت الرابع من شهر رمضان سنة تسع عشرة وخمسمائة، وعلى إخوته الخمسة، وثلاثين رجلاً من خواصّه وأهله، واعتقل الجميع.

ويقال إنّ السبب في القبض عليه أنّه راسل الأمير جعفراً أخا الآمر

وأغراه بأخذ أخيه الخليفة الآمر، ووعده أنّه يقيمه بدله. فلّما تقرّر ذلك بلّغ الشيخ أبو الحسن عليّ بن أبي سامة هذا إلى الآمر حتّى قبض عليه.

وقيل: إنّ المأمون بعث نجيب الدولة أبا الحسن عليّ بن إبراهيم إلى اليمن، وأمره أن يضرب السكّة باسم الإمام المختار محمد بن نزار.

وقيل إنّه سمّ مبضعاً يفصد به الآمر، ودفعه إلى طبيب الآمر وأمره أن يفصدّه به، فطالع الآمر بذلك.

ولم يزل في الاعتقال إلى أن قُتل في ليلة العشرين من شهر رجب سنة اثنتين وعشرين وخمسمائة. وأخرج ومعه صالح بن العفيف، وعلي بن إبراهيم نجيب الدولة، فصلبت أجساد الثلاثة بالقرب من سقاية ريدان خارج القاهرة من غير رؤوس، وفي صدر كلّ واحد رُقعة فيها اسمه. ثمّ أخرجت رؤوسهم وجعل على كلّ جسد رأسه.

وكان المأمون من ذوي الآراء والمعرفة التامّة بتدبير الدول، كريماً، واسعَ الصدر. سفّاكاً للدماء، كثير التحرّز، مجتهداً في الاطّلاع على أحوال الناس من العامّة والجند في سائر البلاد. وكثر الوشاةُ في أيّامه.

وكانت مدة وزارته ثلاث سنين وتسعة أشهر ويومين. وعمره نحو أربع وأربعين سنة. وكان السبب في تلقيبه بالمأمون أنّه كان في خلافة المستنصر من جملة صبيان القصر فكان يرسله إلى بيت المال وخزانة الخاصّ في مهمّاته فيجد منه النهضة والأمانة فيقول: هذا المأمون دون الجماعة. فلّما قتل الأفضل واستدعى القائدُ أبو عبد الله محمدُ بن فاتك الخليفة الآمر بأحكام الله ليحضر إلى دار الأفضل ويتسلّم أمواله، حضر إلى دار الملك وسلّمه ابن فاتك الأموال كلّها، حتى أحضر إليه الجواهر، وكان شيئاً عظيماً. فلّما رآها الآمر سُرّ بها وشكر ابن فاتك وقال له: والله إنّك المأمون حقاً، مالك في هذا النعت شريك.

فلّما قلّده الوزارة لقّبه بالأجلّ المأمون،فعرف به.

obeikandl.com

# قاضي القضاة ابن الزكيّ

محمد بن علي بن محمد بن يحيى بن عليّ بن عبد العزيز بن عليّ بن الحسين، قاضي القضاة، محيي الدين، أبو المعالي، ابن قاضي القضاة زكيّ الدين أبي الحسن، ابن القاضي الأجلّ قاضي القضاة أبي المفضّل، ابن أبي الحسن، ابن أبي محمّد، المعروف بابن الزكيّ، القرشيّ، الأمويّ، العثمانيّ، الدمشقي.

ولد سنة خمسين وخمسمائة، وتفقه علي جماعة، وسمع من أبيه ومن أبي محمد عبد الرحمن بن أبي الحسن الدارانيّ، وأبي المظفّر سعيد بن سهل الفلكيّ، وأبي المكارم عبد الواحد بن محمد بن هلال، وأبي القاسم عليّ، وأبي الحسين هبة الله، ابنيّ الحسن بن عساكر، وحدّث هو، وأبوه، وجدّه، وجدُّ أبيه. وكان ذا فضائل عديدة، من الفقه والأدب وغيرهما. وله النظم المليحُ(والخطب) والرسائل.

وتولّى القضاء بدمشق، هو وأبوه وجدُّه وولداه، وكانت له عند السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب منزلة عالية، ومكانة مكينة، ولمّا فتح السلطان حلب في صفر سنة ثمانين وخمسمائة، أنشده محيي الدين هذا قصيدة، منها قوله:

وفتحك القلعة الشهباء في صفر
مبشّر بفتوح القدس في رجب

فكان كذلك، وفتح السلطان القدس في رجب سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة. فقيل له: من أين لك هذا؟

فقال: أخذتُه من تفسير أبي الحكم ابن برجان في قوله:﴿الٓمٓ*غُلِبَتِ الرُّومُ﴾(الروم١—٢).

ولمّا فتح السلطان القدس تطاول إلى الخطابة به في يوم الجمعة كلُّ أحدٍ من العلماء الذين شهدوا الفتح، وجهد كلّ منهم في عمل خطبة بليغة، ورجا أن يكون هو الذي يُعَيَّنُ لذلك، فخرج المرسوم إلى المحيي هذا أن يخطب، فخطب خطبة بليغة جداً في معنى فتح القدس، وذكر منتجب الدين أبو الفضل يحيى بن أبي طيء حميدة النجار: حدثني جماعة، منهم الركن بن جهبل العدل أنّ الفقيه مجد الدين(طاهر بن نصر الله) بن جهبل الشافعيّ وقع إليه تفسير القرآن الكريم لأبي الحكم المغربيّ، فوجد فيه عند قوله تعالى:﴿آلم*غُلِبَتِ الرُّومُ﴾ الآية، أنّ الروم يُغلَبون في شهر رجب سنة ثلاثٍ وثمانين وخمسمائة، ويفتح البيت المقدّس وتصير دار إسلام إلى آخر الأبد. واستدلّ على ذلك بأشياء ذكرها في كتابه. فلّما فتح السلطان حلب، كتب إليه المجد بن جهبل ورقة يبشّره بفتح القدس على يديه، وعيّن فيها الزمان الذي يفتحه فيه، وأعطى الورقة للفقيه عيسى الهكّاريّ. فلّما وقف عليها الفقيه عيسى، لم يتجاسر على عرضها على السلطان، وأعلم بها في الورقة محيي الدين محمد ابن الزكيّ الدمشقيّ، وكان ابن الزكيّ واثقاً بعقل ابن جهبل، وأنّه لايقدم على هذا القول حتّى يحقّقه ويثق به. فعمل قصيدة مدح بها السلطان حين فتح حلب في صفر، وقال فيها:

وفتحكم حلباً بالسيف في صفر
قضى لكم بافتتاح القدس في رجب

فلّما سمع السلطان ذلك، تعجّب من مقالته، ثمّ حين فتح السلطان القدس، خرج ا لمجد بن جهبل إلى خدمته مهنئاً له بفتحه، وحَدّثَهُ حديث الورقة، فتعجب السلطانُ من قوله وقال: قد سبق إلى ذلك محيي الدين ابن زكيّ الدين، غير أنّي أجعل لك حظاً لايزاحمك فيه أحد، ثمّ جمع له من هناك من الفقهاء وأهل الدين، ثمّ أدخله إلى القدس.

ولمّا كانت... ولّى السلطان صلاح الدين محيي الدين قضاء حلب،

وقـدم إلى القاهـرة رسولاً مـن الملك العـادل سيـف الديـن أبي بكر بـن أيّوب إلى الملك العـزيز عثمان بن صلاح الـدين يحثّه على قصد الفـرنج، فأقام بها أيّـاماً يسيرة، وعاد من القاهـرة يريد دمشق في يوم الأحـد ثالث صفر سنة ثلاث وتسعين وخمسمائة، وتوفيّ يوم الأربعـاء سابع شعبان سنة ثمان وتسعين وخمسمائة بدمشق.



obeikandl.com

# العماد الأصفهانيّ

محمد بن محمد بن حامد بن محمد بن عبد الله بن علي بن محمود بن عبد الله بن أَلُه—يفتح الهمزة وضم اللام— اسم فارسّي معناه بالعربيّة: العُقاب—أبو حامد، عماد الدين— ويقال: أبو عبد الله—ابن صفيّ الدين أبي الفرج، ابن نفيس الدين أبي الرجاء، المعروف بابن أخي العزيز، الأصفهاني، الشافعيّ، الكاتب.

مولده بأصبهان يوم الاثنين ثاني جمادى الآخرة—وقيل:في شعبان— سنة تسع عشرة وخمسمائة، وأقام ببغداد يدرس الخلاف والمذهب بالمدرسة النظاميّة على أبي منصور سعيد بن الرزاز، وبعده على يوسف الدمشقي، وسمع بها من أبي الفتوح محمد بن الفضل بن محمد بن المعتمد الإسفراييني، وأبي المكارم المبارك بن عليّ بن عبد العزيز، وأبي منصور محمد بن عبد الملك بن خيرون وأبي بكر أحمد بن عليّ بن عبد الواحد الدلال، وجماعة كثيرة.

وقرأ الأدب على أبي محمد بن الخشاب. وسمع بأصفهان أبا سعد محمد بن الهيثم الأديب وغيره، وقرأ الخلاف، وعاد إلى بغداد.

وتصرّف في الأعمال الديوانيّة أيّام المقتفي والمستنجد. ومدح الخلفاء والوزراء. ورحل في آخر أيّام الخليفة المستنجد إلى دمشق، ومدح الملك العادل نور الدين محمود، وقدم كاتباً في ديوانه. ثمّ ولي الاستيفاء بجميع الأمور.

وقدم إلى القاهرة بعد موت نور الدين في سنة اثنتين وسبعين وخمسمائة، فصار من خواصّه. وسمع بالإسكندريّة على الحافظ السلفي، وأبي الطاهر إسماعيل بن عوف. وحدّث. ولم يزل في خدمة السلطان إلى

أن مات. فلزم منزله. واشتغل بتدريس الفقه والخلاف وروايـة الحديث والأدب بدمشق إلى أن مات.

قال ابـن النجّار: كان من العلماء المتقنين فقهـاً وخلافاً وأصـولاً ونحواً ولغةً، وله معـرفة بالتواريخ وأيّـام الناس. وله في البلاغـة والانشاء والنظم والنثر اليدُ الطولى والباع الممتّد. وإليه تشـدّ الرحال في ذلك وعليه تعقد الخناصر وكان من محاسن الزمان لم تر العيون مثله.

وتوفي بـدمشق ليلـه الاثنين مستهل شهـر رمضان سنـة سبع وتسعين وخمسمائة. ودفن بمقابر الصوفيّة.

وكـان جامعـاً لفضائل مـن الفقـه والآداب والشعر الجيـد . وله اليـد البيضـاء في النثر والنظـم . وهـو طويـل النفـس في رسـائله وقصـائده . وصنـف تصـانيف مفيـدة منهـا : « خـريدة القصر وجـريـدة العصر في محاسن أهـل العصر » : عشر مجلدات . وديوان شعـره في ثماني مجلدات . وديوان رسائله في أربع مجلدات . وكتـاب « خطفة البارق وعطفة الشارق » ثلاث مجلدات . وكتاب « نصرة الفترة وعصرة القطـرة » مجلدان . وذيل الخريـدة ، مجلدان . وكتـاب « عتب الـزمان في عقبـى الحدثان » مجلـد . وكتـاب « الـذيـل والسيـل » . وكتـــاب « الفتـح القسي في ذكـر الفتـح القدسي » . وكتاب « البرق الشامي » ، تـاريخ في سبع مجلدات . وكتاب أخبار ملوك السلجوقية . وكتاب العقبى والعتبى .

وله ديـوان دوبيت ، ومكاتبات القـاضي الفاضل إليه في جـزء ، وكان يكتب بـالعربية والفارسيـة . وكان محل الثقة من الفـاضل آمنا من تـوثبه عليـه ، ولهذا كان يطمئـن إليـه إذا غـاب مع السلطـان ، وكـان رحمه الله شديد الحرص على تحصيـل الدنيا ، وكان الفـاضل يلومه ويعتبـه ويعذله ويؤنبـه على ذلك ، فلا يـرعوي . فبعـث مرة يشكو إليـه ضرورة ، فكتب إليه الفـاضل : يـا سيد أخيـه ، لا تسمع الهر هـذه الشكوى فيستعـذبها

فيستمر على العدوى ، ولو أستغنينا بالله لكان يغنينا ، ولو قعدنا عن الرزق لأتانا لايعنينا ، وفي الحديث : اتقوا الله واجملوا في الطلب ، ولا يدرى كيف يكون المنقلب ، فبالله الا ما سمعت بهذا الأدب ؟

وله في هذا حكايات : منها أن رجلا من أهل حمص جاءه بطبق كيزان وتفصيلة كتان ، قيمة ذلك كله نحو خمسين درهماً ، وسأل حاجة ، فأخذ قصته وقرأها على السلطان ، وكان قد بلغه الخبر . فلم يجبه . فأعاد العماد عرض القصة وقراءتها مرات في مجالس عدة ، والسلطان لا يأمر فيها ولا ينسى ، ففطن العماد وعلم أن الخبر قد اتصل بالسلطان فأعاد عرض القصة ، فلما لم يجبه عنها قال :

يا مولانا ، الطبق الذي أحضره صاحب هذه القصة باق إلى الآن لم اتصرف فيه . فما كان ما ينقضي شغله أعدت عليه طبقه .

فضحك السلطان وعجب من دناءة نفسه وأمر بقضاء شغل الرجل ، وكان شديد التهافت على أخذ الختوم الذهبية التي تجيء على كتب الفرنج ، فوصل منهم كتاب بغير حضوره ففتحه السلطان بيده ، وأخذ بعض الحاشية الختم . فلما جاء العماد قيل له : أكتب جواب هذا الكتاب

فقال : يكتب جوابه من أخذ الختم

فعز قوله على السلطان وقال : قم اخرج الوقت، ماهو محتاج إليك ، فأتى إلى الفاضل وعرفه ما كان . فقال له : رح إلى الخانكاه وأقعد بها مع الفقراء وألبس زيهم . فإذا طلبك السلطان قل : « أنا دخلت في أسر لا أخرج منه » . ثم لا تخرج حتى يأتيك السلطان بنفسه مترضياً .

ثم لم يلبث الفاضل حتى أتته رسل السلطان في طلبه ، فلما أتاه شكا

إليه العماد ، وقال له : أكتب جواب لهذا الكتاب ، فقال : والله ما أعرف ما أكتب فيه لأن العماد كان بصدد هذه الكتب فلا يعرفها سواه .

ولم يزل يتلطف بالسلطان حتى قال : أطلبه ، فبعث في طلبه فلم يحضر وأعتذر ، فعظم الفاضل الأمر ، وكرر الرسل في طلبه وهو لا يحضر ، فقال الفاضل : أنا أروح خلفه وأتلطف به . فوالله هذا باب ما يسده سواه .

ثم ذهب فأطال المكث ، وعاد إلى السلطان وقال : لقد حرصت به فلم يجب ، ورأيته مقبلا على ما دخل فيه إقبالا ما أظنه بقي يخرج عنه وما ضر السلطان لو زار الفقراء وترضى عبده ؟ ولم يزل به حتى أتاه وترضاه .

وما هذه الأيام إلا صحائف
نسطر فيها ثم نمحى ونمحق
ولم أر في عمري كدائرة المنى
توسعها الآمال والعمر ضيق

وقوله :

هي كتبي فليس تصلح من بعد
ي لغير العطار والإسكافي
هي إما مزواد للعقاقير
ر وإما بطائن للخفاف

وكان ذا قدرة على النظم والنثر ، وشعره ألطف من نثره لأنه أكثر من الجناس فيه ، وبالغ حتى صار كلامه كأنه ضرب من الرقى والعزائم .

ومن محاسن نثره : « فلما أراد الله الساعة التي جلاها لوقتها ، والآية التي لا أخت لها ، فتقول : هي أكبر من أختها ، أفضت الليلة إلى

فجرها ، ووصلت الدنيا الحامل إلى تمام شهرها ، وجاءت بواحدها الذي تضاف إليه الأعداد ، ومالكها الذي له الأرض بساط ، والسماء خيمة ، والحبك أطناب ، والجبال أوتاد ، والشمس دينار ، والقطر دراهم والأفلاك خدم . والنجوم أولاد ».

ومن كلامه الذي أكثر فيه الجناس قوله : « ورد الكتاب الكريم الأشرف الذي كرم وشرف ، وأسعد وأسعف ، وأجنى العز وأقطف ، وأوضح الجد وعرف ، وقوى العزم وصرف ، وألهج بالحمد وأشغف ، وجمع شمل الحب وألف ، فوقف الخادم عليه وأفاض في شكر فيض فضله المستفيض ، وتبلج وجه وجاهته ، وتأرج نبأ نباهته ، ما عرفه من عوارفه البيض ، وأمنت بمكارمه المكاره ، وزاد في قدر التائه قدره النابه ، وافترت مباسم مراسمه عن ثنايا مناجحه ، ورفد طلائع صنائعه ، فسر بمنن منائحه » .

ومما أكثر فيه من رد العجز على الصدر قوله : « وسر أولياءه ، وأولي مسرته ، وأقدر يده وأيد قدرته ، وآزر دولته وأدال مؤازرته ، وبسط مكنته ومكن بسطته ، وأسعد جده وأجد سعادته ، وأراد نجحه وأنجح إرادته ، وأجل جيله وسر أسرته ، وحاط حماه وحمى حوطته ، ولا زال معروفه مواليا، ومواليه معروفا . ووصفه حسنا وإحسانه موصوفا ، وإلفه بارا ، وباره مألوفا ، وعطفه كريما وكرمه معطوفا » .

وله رسائل التزم في واحدة الدال في كل كلمة ، والضاد في أخرى ، والميم في أخرى ، والشين في أخرى ، وأشياء من هذا النمط .

وديوانه أربع مجلدات كبار . وما أحسن قوله في أترجة :

وأترجة صفراء لم أدر لونها
أمن فرق السكين أم فرقة السكن ؟

بحـــق عـــرتها صفـــرة بعـــد خضرة
فمـــن شجـــر بـــانـــت وصـــارت إلى شجـــن

وقوله :

متلـــون كمـــدامعـــي متعفـــف
كضمائري، متعـــذر كـــوســـائلي
أنـــا في الضنـــى كـــالخصر منـــه يشتكـــي
مـــن جـــائر مـــا يشتكـــي مـــن جـــائل

ويحكى أنه قال يوما للقاضي الفاضل : سر فلا كبابك الفرس ، فأجابه الفاضل : دام علا العماد ، وكلا الكلامين يقرأ مقلوبا .

واجتمعا يوما في موكب السلطان وقد ثار الغبار حتى سد الفضاء ، فأنشد ارتجالا :

أمـــا الغبـــار فـــإنـــه
ممـــا أثـــارتـــه السنـــابـــك
والجو منـــه مظلـــم
لكـــن أنـــار بـــه السنـــابـــك
يـــا دهـــر لي عبـــد الرحيـــ
ـــم، فلســـت أخشـــى مـــس نـــابـــك

وكان قدم وهو ابن عشرين سنة إلى بغداد ، ونزل النظامية ، وبرع في الفقه ، وأتقن الخلاف والنحو و الأدب ، وسمع الحديث . فلما مهر تعلق بالوزير عون الدين أبي المظفر يحيى بن محمد بن هبيرة ، فولاه البصرة ثم نظر واسط . فلما مات الوزير ضعف أمره واعتقل في جملة من اعتقل . فكتب إلى رئيس الرؤساء عضد الدين أبي الفرج محمد الأستادار :

قـــل لـــلإمـــام: عـــلام حبـــس وليكـــم
أولـــوا جميلكـــم جميـــل ولائه

أوليـــس إذ حبـــس الغمام وليـــه
خلى أبـــوك سبيلـــه بـــدعـــائه

يشير إلى قصة العباس بن عبد المطلب في الاستسقاء

وكان إذا دخل عليه من يعوده في مرضه ينشد :

أنـــاضيـــف بـــربعكـــم
أيـــن أيـــن المضيـــف ؟
نكـــرتنـــي معـــارفي
مـــات مـــن كنـــت أعـــرف

وقال القاضي الفاضل لجلسائه : بم تشبهون العماد ؟ — وكان عنده فترة عظيمة وجمود في النظر والكلام ، فإذا أخذ القلم أتى بالنظم والنثر — فكلهم شبهه بشيء . فقال : ما أصبتم ، هو كالزناد ظاهره بارد ، وباطنه فيه نار .

ولما فرغ من كتاب الخريدة جهزها إلى القاضي الفاضل في ثمانية أجزاء فقال : أين الآخران ؟ — لأنه قال : خري ده ، يعني : خري عشرة ، فإن ده بالفارسية : عشرة . ومن هنا أخذ ابن سناء الملك قوله فيها :

خـــريـــدة أفيـــه مـــن نتنهـــا
كـــأنها مـــن بعـــض أنفـــاســـه
فنصفهـــا الأول في ذقنـــه
ونصفهـــا الآخـــر في رأســـه

ولما قدم دمشق سنة اثنتين وستين وخمسمائة تعرف بمدبر الدولة القاضي كمال الدين الشهرزوري ، وكان قد اتصل في طريقه بنجم الدين أيوب لمعرفة كانت بينه وبين عمه العزيز بتكريت . فاستخدمه كمال الدين عند السلطان نور الدين في الإنشاء . فجبن أولاً ، ثم ترقت منزلته عند السلطان ، وبعثه في رسالة إلى الإمام المستنجد بالله . وفوض إليه

تدريس المدرسة المعروفة بالعمادية بدمشق ، ورتبه في إشراف الديوان .

فلما مات نور الدين وقام من بعده ابنه تنكرت أحواله ، فعاد إلى العراق .

فلما بلغه وصول السلطان يوسف صلاح الدين إلى دمشق وأخذها ، عاد إلى الشام ، والسلطان على حلب ، فمدحه ولقي القاضي الفاضل على حمص ومدحه بقصيدة : فدخل على السلطان وقال له : غداً يأتيك تراجم الأعاجم وما يحلها مثل العماد .

فقال له : مالي عنك مندوحة ، أنت كاتبي ووزيري ، ورأيت على وجهك البركة ، فإذا استكتبت غيرك تحدث الناس .

فقال العماد : يحل التراجم وربما أغيب أنا ، فإذا غبت قام مقامي . وقد عرفت فضله وخدمته لنور الدين .

فاستخدمه عند ذلك وأطلعه على سره ، وكان يضاهي الوزراء فإذا انقطع الفاضل بمصر لصالح السلطان قام العماد مقامه . فلم يزل على ذلك حتى مات السلطان واختلت أحواله ، ولم يجد في وجهه باباً مفتوحاً فلزم بيته وأقبل على التصنيف بقية عمره .

وتأخرت وفاته بعد الفاضل سنة .

# النجم الخبوشانيّ الصوفيّ

محمد بن موفّق بن سعيد بن علي بن الحسن بن عبد الله، الشيخ الزاهد، نجم الدين، أبو البركات، ابن أبي المطهّر، الخبوشانيّ، التبريزيّ، الصوفي، الشافعي.

مولده بأستُوا خبوشان في الثالث والعشرين من شهر رجب سنة عشروخمسمائة. وتفقّه بنيسابور على محمد بن يحيى.وكان يقول: أصعد إلى مصر وأزيل ملك بني عُبيد الكذّابين، فقدم إلى مصر سنة خمس وستين وخمسمائة، ونزل في بعض مساجدها. فأتّفق أنّ الخليفة العاضد لدين الله أبا محمدّ عبد الله بن يوسف رأى في منامه أنّه بمدينة مصر وقد خرج إليه عقرب من مسجد معروفٍ بها فلدغه. فانتبه مذعوراً، واستدعى عابر الرّؤيا وقصّ عليه مارأى.

فقال: ينال أمير المؤمنين مكروهٌ من شخص مقيم بهذا المسجد.

فألزم الوالي بإحضار مَن في المسجد. فمضى إليه وأحضر منه رجلاً صوفياً. فسأله العاضدُ من أينَ هو، ومتى قدم مصر، وفي أي شيءٍ جاء.

فأجابه عن ذلك. ولم يظهر للعاضدِ مايريبه، بل تبيّن منه ضعف الحال مع الصدق، فدفع إليه مالاً وقال له: ياشيخ، أدع لنا، وخلاّه لسبيله، فعاد إلى مسجده.

ولم يزل به حتّى قدم شيركوه من دمشق، وقام في وزارة العاضد السلطان صلاح الدين يوسف بن أيّوب وشرع في إزالة الدولة، فاستفتى فقهاء مصر فكان أشدَّهم مبالغة في الفُتيا، وعدّد مساوىء القوم، وسلب عنهم الإيمان، وأطال القول في الحطِّ عليهم، وعندما عزم صلاح الدين على قطع اسم العاضد من الخطبة لم يتجاسر أحد أن يأمُرَ

الخطيب بذلك، إلاّ الخبوشانيّ، فإنّه قام يومَ جمعة، وفي يده جريدة وأمر بقطع اسم العاضد، وانقطع اسمُه من يومئذٍ، وصدقت الرؤيا.

فلمّا استبدّ السلطان صلاح الدين بمملكة مصر، قرّبه وأكرمه، وبالغ في اعتقاد دينه وعلمه. فأشار على السلطان بعمارة المدرسة بجوار قبر الامام الشافعيّ فامتثل ذلك، وتبتّل الخبوشانيّ بعمارتها حتّى كملت، ودّرس بها وسكن فيها إلى أن مات هناك يوم الأربعاء الثاني والعشرين من ذي القعدة سنة سبع وثمانين وخمسمائة، ودُفن تحت رجليّ الشافعيّ.

ولم يأكل من وقف المدرسة شيئاً قطّ، ولاأخذ من مال الملوك شيئاً، ودُفن في الكساء الذي صحبه من خبوشان، وكان بمصر تاجرٌ من بلده يأكل من ماله.

وحدّث عن أبي الأسعد هبة الرحمن بن عبد الواحد، ابن الأستاذ أبي القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيريّ. وكان فاضلاً ديّناً سليم الباطن، معرضاً عن معرفة الأحوال الدنيويّة، شديد الورع، فقيهاً، يستحضر كتاب المحيط في شرح الوسيط. وذكر عنه أنه عدم مرّة فأملاه من حفظه.وصنّف كتاباً في الفقه سمّاه«تحقيق المحيط» في ستّة عشر مجلداً.

وخُبُوشان—بضمّ الخاء المعجمة والباء الموحّدة، وسكون الواو، وفتح الشين المعجمة، ثم ألف بعدها نون— بليدة بناحية نيسابور، وكان من ورعه إذا ركب الحمار يجعل تحته أكيسةً لئلا يصل إليه عرَقُه.

وأتاه السلطان الملك العزيز عثمان، فصافحه، فاستدعى ماءً وغسل يديه وقال: ياولدي أنت تمسك العنان ولايتوقىّ الغلمانُ النجاسة، اغسل وجهك فإنّك بعد المصافحة لمستَ وجهك.

فقال: نعم، وغسل وجههُ.

ولمّا خرج السلطان صلاح الدين إلى القريع قرب الرملة، جاء إلى الخبوشانيّ ليودّعه. فالتمس منه أموراً من المكوس ليسقطها عن الناس، فلم يفعل. فقال له: قم، لانصرك الله، وكن بغضا.

فوقعت قلنسوة السلطان عن رأسه، فرجع السلطان، ثمّ توجّه إلى الحرب فانكسر، وعاد إلى الشيخ وظنّ أنّ ذلك بدعوته وأذعن لكلامه.

وكان لتقيّ الدين عمر ابن أخي السلطان صلاح الدين مواضع يباع فيه المزر. فكتب الشيخ ورقة إلى السلطان قال فيها: إنّ هذا عمر لاجبره الله يبيع المزر.

فسيّرها إلى عمر وقال: لاطاقة لنا بهذا الشيخ، فأرضِهِ.

فركب إليه. فقال له حاجبهُ: قف بباب المدرسة حتّى أسبقك إليه وأوطىء لك، ثمّ دخل وقال: تقيّ الدين يسلّم عليك، فقال: بل شقيّ الدين، لاسلّم الله عليه، فقال: إنّه يعتذر ويقول: ليس لي موضع يباع فيه المزر، فقال: يكذب، فقال: إن كان هناك موضع مزر فأرِنا، فقال: أدن، فأمسك ذؤابته وجعل يلطم وجهه، ويضربه ويقول: لست مزارا، فأعرفَ مواضع المزر، ثمّ تركه، وخرج إلى تقيّ الدين فقال: فَدَيْتُك بنفسي .

وأتاه القاضي الفاضل يوماً وهويلقي الدرس على كرسيّ ضيّق. فجلس على طرفه، وجنبه إلى قبر الشافعيّ، فصاح به:قم، ظهرك إلى الإمام، فقال: إن كنت مستدبره بقالبي، فأنا مستقبله بقلبي، فصاح فيه وقال: ماتُعبِدّنْا بهذا، فخرج وهو لايعقل.

ويقال أنّه كان يصرّح بسبّ الدولة المصريّة قبل انقراضها. فبعثوا إليه بأربعة آلاف دينار. فنهض إلى الذي أحضرها، وهو بذاك الزيّ الهائل

وقال له وقد اشتد غضبه: ويلك، ماهذه البدعةُ؟ فألقى إليه مامعه بين يديه. فضربه على رأسه حتى تحَلقّت عمامته في حلقه، وأنزله ورمى بالدنانير على رأسه، وسب أهل القصر.

obeikandl.com

# القاضي ابن ميسّرالقيسرانيّ

محمد بن هبة الله بن ميسّر، القيسرانيّ، القاضي الأمين، ثقة الدولة، سناء الملك، شرف الأحكام، قاضي القضاة، عمدة أمير المؤمنين، أبو عبد الله، ابن أبي الفرج.

قدم مع أبيه من قيساريّة، وهو صغير، في أيّام أمير الجيوش بدر الجماليّ، وولي أبوه خطابة جامع عمرو بن العاصي بمصر، وكان من أرباب اليسار.

فلمّا مات أبو الحجّاج يوسف بن أيّوب بن إسماعيل المغربيّ، قلّد الآمر باحكام الله أبا عبد الله هذا قضاء القضاة بديار مصر بعدَه، في ذي الحجّة سنة اثنتين وعشرين وخمسمائة، ورتّب مشارفا على ثقة الدولة... ابن أبي الردّاد في قياس الماء، وعمارة المقياس وعمل مصالحه. فبقي مستمرّاً فيها إلى أن قتل، فلم ينظر بعده أ حد على هذه الجهة، وانفرد ابن أبي الرداد، وأطلق له كلّ سنة مائة قنطار جير لعمارة المقياس.

وواصل الملازمة والدؤوب، وتوفّر على الانتصاب للجلوس، واعتمد التثبّت في الأحكام التصبّر على الخصوم، وعدّل جماعة كثيرة، مستكثرا من البياض والوجوه، فصار للقاهرة ومصر بذلك جمال، وللمسلمين انتفاع. وبلغت عدّة الشهود في أيّامه زيادة على مائة وعشرين، ولم تبلغ عدّتهم قبله ثلاثين. وردّت إليه أيضاً المظالم، فاستوضح أحوال المعتقلين وطالع بها حضرة أمير المؤمنين الآمر بأحكام الله، وكان منهم جماعة قد قنطت نفوسهم من الخلاص وساءت ظنونهم، فلا يتوقّعون لعقدتهم انحلالاً، فاستخرج أمر(الخليفة) بالإفراج عنهم، وأنهى ايضا إلى الآمر عن أحوال التجّار(فكتب) مناشير في معناهم تُليت على المنابر وصف فيها ابن ميسّر وشكر.

ولمّا ولد للآمر ولد ذكر في سنة أربع وعشرين(وخمسمائة)، وأحضر الكبش ليذبح في عقيقته، شرف ابن ميسّر بحمل المولود حتّى عُقّ عنه بحضره الآمر ونثرت عليه الدنانير، وكان يوماً مشهوداً.

ولم يزل إلى أن قتل الآمر وبويع من بعده الحافظ لدين الله أبو الميمون عبد المجيد بن محمد، فتولىّ قراءة السجّل الذي كتب بمبايعته، وهو على كرسيّ تجاه الحافظ، بحضور أرباب الدولة.

ثمّ صُرف في يوم ا لثلاثاء أوّل ربيع الأوّل سنة ستّ وعشرين وخمسمائة بأبي الفخر صالح بن عبد الله بن رجا، فلّما تغلّب الأمير حسن بن الحافظ على أبيه وقتل قاضي القضاة سراج الدين أبا الثُريّا بن جعفر، أعاد ابن ميسّر إلى القضاء، وخلع عليه في يوم ا لخميس ثاني ذي القعدة سنة ثمان وعشرين. وصُرف في وزارة بهرام يوم الأحد سابع المحرّم سَنة إحدى وثلاثين، وأخرج إلى تنيس، وقتل بها عشيّة يوم الاثنين ثاني شهر ربيع الأوّل سنة احدى وثلاثين وخمسمائة.

وسبب قتله أنّه كان أسقط انسانا يُعرف بابن الزعفرانيّ فوشى به عند الخليفة الحافظ ان أبا عليّ أحمد بن الأفضل، لمّا ولي الوزارة واعتقل الحافظ وجلس للهناء، ودخل الشعراء يهنّئونه على العادة، أنشده عليّ ابن عبّاد(الإسكندري) أبياته التي أولها:

تبسّم الدهر لكن بعد تعبيس

إلى أن قال:

هذا سليمانكم قد ردّ خاتمه
واسترجع الملك من صخر بن إبليس

فقام ابن ميسّر وألقى عرضيّته(عمامته) طرباً لهذا البيت.

وكان ابن ميسّر كريماً جواداً سخيّاً، له نعمة وهمّة، وكان يعمل الاطعمة والسماطات المختلفة، والحلوى الكثيرة، وكان نبيلا جليلا، ضرب دنانير كبيرة باسمه اقترحها على الخليفة الآمر بأحكام الله، فبقيت بعده دهراً طويلاً، وهو الذي أخرج الفستق الملّبس بالحلوى، لأن أبا بكر محمد بن عليّ الماذرّائي وزير الدولة الإخشيديّة عمل كعكا سمّاه«افطن له»، وعمل منه يوماً في صحن، وجعل عوضاً عن حشوه بالسكر، دنانير. فلّما حضر الناس في يوم عيد وأكلوا من طعامه، أشار بعض الخدّام لشخص بقوله:«افطن له» ليأكل من الكعك المذكور. فلّما بلغ ذلك ابن ميسّر عمل نظيره صحنا فيه فستق ملبس بحلوى، وجعل عوض قلب الفستق ذهباً، فأكل الحاضرون منه وأخذوا مافيه من الذهب.

وكان قليل العلم. وكان يركب بالمنارة النحاس الرومية ذات السواعد التي عليها السبع في ليالي الوقود. فاتفق أنّه اجتاز بها بين يديه من تحت سدرَة بالقرافة، فأمر بقطعها. فحذّر من ذلك، لما جاء في الحديث من نهي عن قطع السدر، فلم يعبأ بذلك وقطعها. ولم يمض عليه إلاّ قليل حتى قُتل. وكانت علامتُه: الحمد لله على نعمه.

وولي قضاء القضاة بعده القاضي الأعزّ أبو المكارم أحمد بن عبد الرحمن بن أبي محمد بن أبي عقيل.

- ١٩١٠٩ -

# أبو بكر الطرطوشيّ

محمد بن الوليد بن محمد بن خلف بن سليمان بن أيّوب، ابن ابي رندقة—بفتح الراء المهملة، وسكون النون، وفتح الدال المهملة، وبعدها قاف، كلمة فرنجيّة معناها: رُدَّ تعال— الإمام العلاّمة، أبو بكر، الفهريّ، الطرطوشيّ، الفقيه المالكيّ.

ولد بطرطوشة سنة إحدى وخمسين وأربعمائة. وتوفّي بثغر الإسكندريّة ليلة السبت لخمس بقين من جمادى الأولى سنة عشرين وخمسمائة، ودُفن بمقبرة وعلة. وقبره إلى الآن يزار ويتبرّك به.

أخذ فقه الإمام مالك عن أبي الوليد الباجيّ بمدينة بسطة، وأخذ عنه مسائل الخلاف، وسمع منه فأجازه. وقرأ الفرائض والحساب بوطنه. وقرأ الأدب على أبي محمد بن حزم بمدينة إشبلية.

ورحل سنة ستّ وسبعين وأربعمائة. فسمع بثغر الإسكندريّة من أبي القاسم مهديّ بن يوسف. وببغداد من قاضي القضاة أبي عبد الله محمد ابن علي بن الدامغانيّ، وأبي الحسين عاصم بن الحسن، وغيره، وبواسط من أبي الحسن عليّ بن محمد المغازليّ. وبالبصرة ومكّة من غير واحد.

وحجّ سنة ستّ وسبعين وأربعمائة، وسار إلى بغداد والبصرة. وتفقّه على أبي محمّد الشاشيّ، واجتمع بالإمام أبي حامد الغزاليّ ببيت المقدس. وأقام بالإسكندريّة فتفقّه عليه أكثر فقهائها. وكانت إليه الرحلة. وقدم القاهرة مراراً، وآخر ماقدم إليها في شهر شوّال سنة ستّ عشرة وخمسمائة، والوزير يومئذ الأجلّ المأمون أبو عبد الله محمد بن فاتك البطائحي، وكانت بينهما مودّة قديمة، وأهدى إليه كتاب«سراج الملوك»، وكان قد صنّفه للأفضل شاهنشاه ابن أمير الجيوش، فقُتل قبل إتمامه.

فبالغ في كرامتـه، وأنزله بمجلسه، وقام عند رؤيتـه، وجلس بين يديه، وأجرى لـه في كلّ يوم خمسة دنـانير من مال الجوالي، فلم يقبـل منها غير دينارين كانا باسمه من الأيّام الأفضليّة.

وكان الداعي لحضوره أمر المواريث، ومـايأخذه أمناءُ الحكم من أموال الأيتام، وهو ربع العشر وأمـر توريث البنت نصف المال. وكانـوا يورثونها جميع المال مـع وجود ا لعصبة، كما هو مـذهب آل البيت. فاعتـدّ المأمون بأنّ هـذه قضيّة لم يُحدثْهـا، وأنّ أمير الجيوش بـدراً هو الـذي استجدّهـا، وهي تسمى بالمذهب الدارج: وهـو أن كلّ من مات يعمل في ميراثه على حكم مذهبه، وقد مرّ على ذلك عدّة سنين.

فقال لـه الفقيه أبـو بكر: اذا علمـت أنّها ماتخلّصـك من الله فغيِّرهـا، ويكون لك أجرها.

فقال: أنـا نائب الخليفة، ومذهبـه ومذهب جميـع الشيعة من الزيـديّة والإماميـة والإسماعيلية أنّ الإرث جميعه للابنـة خاصّة بلا عصبـة ولابيت مـال، ويتمسّكون بـآية مـن كتـاب الله كما يتمسك غيرهـم، وأبو حنيفـة موافقهم في ا لقضيّة، يعني توريث ذوي ا لأرحام.

وطـال بينهما الكلام، إلى أن قـال المأمون للفقيـه أبي بكـر: أنا لاأريـد مخالفتك، ولا في قـدرتي أن أردّ على ا لجماعة مـذهبهم، والخليفـة يرى بـه وينقضه على مَن يـأمر به، بل أرى لشفـاعة الفقيه أن أردّ الجميع لـلابنة على رأي الدولـة فيرجع كلّ أحدٍ إلى حكـم رأيه في مذهبـه فيما يخلّصه مـن الله، ويبطل حكـم بيـت المال الذي لم يـذكره في كتـابـه ولا أمر بـه الرسول عليه السلام.

فأجاب الفقيه إلى ذلك. وأمر المأمون بأن يكتب بتعويض أمناء الحكم عن ربع العُشر من مـال المواريث الحشرية. وكتب توقيع شملتـه العلامة

الآمرية والمأمونيّة، نصّه، بعد البسملة:«خرج(أمر) أمير المؤمنين، الآمر باحكام الله، أبو عليّ المنصور، صلوات الله عليه وعلى آبائه الطاهرين، بإنشاء هذا المنشور عندما طالعه السيّد الأجل المأمون أمير الجيوش، وهو الخالصة أفعاله في حياطة المسلمين، وذو المقاصد المصروفة إلى النظر في مصالح الدنيا والدين، والصمّة المومُوقة على الرقّي إلى درجات المتّقين، والعزائم الكفيلة بتسديد أحوال الكافة أجمعين، شيمة خصّه الله بفضيلتها، وجبلة أسعده بخلالها وشريف مزيّتها، والله سبحانه يجعل آراءه للتوفيق مقارنة، وأنحاءه للميامن كافلة، ضامنة من أمور المواريث، وماأجراها عليها الحكّام الدارجون بتغاير نظرهم، وقرّروه من تغييرها عمّا كان يعهد بتغلّب آرائهم، ومادخل عليها منهم من الفساد والخروج بها عن المعهود والمعتاد: وهو أنّ كلّ خارج من الناس على اختلاف طبقاتهم وتباين مذاهبهم واعتقاداتهم، يحمل مايترك من موجوده على حكم مذهبه في حياته، والمشهور من اعتقاده إلى حين وفاته. فيخلص لحرم ذوي التشيّع الوارثات جميع موروثهم، وهو المنهج القويم لقول الله سبحانه﴿وأولو الأرْحام بَعْضُهُمْ أوْلَى ببعْضٍ في كتاب الله إنّ الله بكلِّ شيءٍ عَلِيمٌ﴾،(الأنفال٧٥)، ويحمل من سواهنّ على مذهب مخلّفيهنّ، ويشركهم بيت مال المسلمين في موجودهم، ويحمل إليه جزء من أموالهم التي أحلّ الله لهنّ بعدهم، عدولا عن محجّة الدولة، وخروجاً عمّا جاء به الصادقون الأئمة الذين نزل في بيتهم الكتاب والحكمة، فهم كرماء القرآن، وموضّحو غوامضه ومشكلاته بأوضح البيان، وإليهم يسلّم المؤمنون، وعلى هديهم وإرشادهم يقول الموفّقون.

فلم يرض أمير المؤمنين الاستمرار في ذلك على قاعدة واهية الأصول، بعيدة من التحقيق، خالية من المحصول، ولم ير إلاّ العود فيه إلى عادة آبائه المطهّرين، وأسلافه ا لعلماء المهديين، صلوات الله عليهم أجمعين. وخرج أمره إلى السيد الأجل المأمون بالايعاز إلى القاضي ثقة الملك النائب(أبو بكر مسلّم الرسعنيّ، قاضي القضاة) في الحكم عنه، بتحذيره،

والأمر له بتحذير جميع النوّاب في الأحكام بالمعزّية القاهرة ومصر، وسائر الأعمال دانيها وقاصيها، قريبها ونائيها، من الاستمرار على تلك السنة المجدّدة، ورفض تلك القوانين التي كانت معتمدة، واستئناف العمل في ذلك بما يراه آباؤه الأئمة المطهّرة، وأسلافه الكرام البررة، وإعادة جميع مواريث الناس على اختلاف طبقاتهم ومذاهبهم، إلى المعهود من رأي الدولة فيها، والإفراج عنها برمتّها إلى مستحقيها، من غير اعتراض عليهم في قليلها ولا كثيرها، وأن يضربوا عمّا تقدّم صفحا، ويطووا دونه كشحا، منذ تاريخ هذا التوقيع، وفيما يأتي بعده مستمراً غير مستدرك لما فات ومضى، ولامتعقب لما ذهب حكمُه وانقضى. وليوعز الأجل المأمون—عضد الله به الدين— بامتثال هذا المأمور والاعتماد على مضمون هذا المسطور، وليحذّر كلاّ من القضاة والنوّاب والمستخدمين في الباب، وسائر الأعمال من اعتراض موجود أحدٍ ممّن يسقط بالوفاة، وله وارث بالغ رشيد، حاضر أو غائب، ذكراً كان أو أنثى، من سائر الناس على اختلاف الأديان، بشيء من التأوّلات، أوتعقّب ورثته بنوع من أنواع التعقبات، إلاّ ماأوجبته بينهم المحاكمات والقوانين الشرعيّات الواجبات، نظراً في مصالح الكافة، ومداً لجناح العاطفة عليهم والرأفة، ومضاعفة للإنعام، وإبانة عن شريف النظر إليهم والاهتمام.

فأمّا من يموت حشريّاً، لاوارث حاضر ولاغائب فموجوده لبيت المال بأجمعه على الأوضاع السليمة، والقوانين المعلومة القويمة، الاّ مايستحقّه زوج إن كان له، أو دين عليه يثبت في جهته. وإن سقط متوفيّ وله وارث غائب،فليحتط الحكّام والمستخدمون على تركته احتياطاً حكميّاً، وقانونا شرعيّاً، مصونا من الاصطلام، محروما من التفريط والاختزام. فإن حضر وأثبت استحقاقه ذلك في مجلس الحكام بالباب على الأوضاع الشرعيّة الخالصة من الشبه والارتياب، طولع بذلك ليخرج الأمر بتسليمه إليه، والإشهاد بقبضه عليه.

وكذلك أنهى حضرة أمير المؤمنين أن شهود الحكم بالباب وبجميع الأعمال اذا شارف أحد منهم بيع شيء ممّا يجري في المواريث من الترك التي يتولاّها الحكّام يأخذون ربع العشر من ثمن المبيع فيعود ذلك بالنقيصة في أموال الأيتام، والتعرّض إلى الممنوع الحرام، اصطلاحا استمروا على فعله، واعتماداً لم يجر الأمر فيه على حكمه. فكره ذلك وأنكره، واستفظعه وأكبره. واقتضى حسن نظره في الفريقين ماخرج به أمره من توفير مال الأيتام، وتعويض من يباشر ذلك من الشهود جارياً يقام لكلّ منهم من الإنعام. وأمر بوضع هذا الرسم وتعقيمه وإبطاله وحسم مادّته. فليعتمد القاضي ثقة الملك ذلك في الباب، وليصدر الإعلام به إلى سائر النواب، سلوكا لمحجة الدين، وعملا بأعمال الفائزين السعداء المتّقين، بعد تلاوة هذا التوقيع بالمسجدين الجامعين بالمعزيّة القاهرة المحروسة ومدينة مصر،على رؤوس الأشهاد، ليتأدّى في معرفة مضمونه كلّ قريب وبعيد، وحاضر وباد، وليفرّغ منه النسخ إلى جميع النّواب عنه في الأعمال، وليخلّد في مجلس الحكم بعد ثبوته في ديواني المجلس والخاصّ الآمريّ، وحيث يثبت إن شاء الله حجّة مودعة في اليوم ومابعده.

وكتب لليلتين بقيتا من ذي القعدة سنة ستّ عشرة وخمسمائة».

ولمّا ودّع الفقيه أبو بكر المأمون ذكر له أنّه يريد بناء مسجد بظاهر الثغر على البحر، فكتب إلى مكين الدولة أبي طالب أحمد بن عبد المجيد ابن أحمد بن الحسن بن حديد قاضي الإسكندرية وناظرها بعمارة ذلك من مال ديوان المأمون، دون مال الدولة، فبنى مسجداً على باب ا لبحر.

ثمّ بنى له أيضاً سلطان الجيوش حيدرة أخو المأمون مسجداً آخر بالمحجّة من الثغر.

وكان إماما عالما زاهداً ورعا دّينا متواضعا متقشفاً متقللاً من الدنيا راضياً منها باليسير. وكان يقول: إذا عرض لك أمران، أمر دنيا و أمر آخرة، فبادر بأمر الآخرة يحصل لك أمر الدنيا والآخرة.

وكان كثيراً ماينشد:

ان لله عبادا فطّنا
طلّقوا الدنيا وخافوا الفتنا
فكّروا فيها فلّما علموا
أنّها ليست لحيّ وطنا
جعلوها لجّة واتخذوا
صالح الأعمال فيها سُفنَا

وحصّل كثيراً وكتب بخطّه، وصنّف عدّة تصانيف مفيدة، وحدّث فروى عنه جماعة وتخرّج به جماعة كثيرة من أعيان الفقها. وظهرت بركته على من اشتغل عليه. فإنّه كان قدم مصر ولم يبق أحد ينتفع به غالباً، فكان يعلّم الانسان كتاب الطهارة، ويخرجه إلى بلدٍ فيعلمهم ذلك. ويعلّم آخر الصلاة، ويفعل به كذلك، وآخر الزكاة، وآخر الصيام، حتّى كان من يستفاد منه غالبا إنما هم أصحابه أو أصحاب أصحابه.

وقال فيه أبو العبّاس العرشيّ:

لم يشمل الاسلام بعد انصداع
وتلافي رثيثه تجديد
مثل ما لمن أبو بكر
فعاد الطريف مثل التليد

وقال إبراهيم بن مهدي بن قلنبا المالكيّ الفقيه المتكلّم: شيخنا أبو بكر الطرطوشيّ، زهده وعبادتُه أكثر من علمه. وكانت الطلبة والفقهاء يقرؤون عليه للتبرّك، وانتفع جماعة به وتخرّجوا عليه. وورد بغداد، وكان

عليه كساء وقلنسوة، وكان معه هِميان فيه مائتا دينار. فاتفق أنه في الطريق أراد أن يتوضأ، فوضعه في موضع فنسيه فوجده رجل ديّن خيّر، فصبر يومين فرآه لايضطرب ولايطلب شيئاً، فقال له الرجل: هل ضاع لك شيء؟ فقال: هِميان فيه كذا، فأخرج الهميان وقال: هذا لك؟ قال: بلى، فأخذه منه. فقا ل له الرجل: فما لك سكت؟ قال: إذا قلت ضاع منّي مائتا دينار، وعليّ هذه البزّة، من كان يصدقني، وكان بالليل الفقهاء يكرّرون وينامون، فيجيء الفقيه الطرطوشيّ ويترك الدنانير الصحاح في أفواههم. فإذا انتبه الفقيه منهم يجد الذهب في فيه ولايعلم من تركه فيه.

وأخرج من الإسكندرية صبيحة يوم السبت لآخر ليلة بقيت من جمادى الآخرة سنة أربع عشرة وخمسمائة، ومنع الناس من الخروج معه خوفاً من فتنة تكون، وغلّقت وقت خروجه عليهم أبواب المدينة فلم يقدر أحد يصحبة إلاّ أبو طاهر إسماعيل بن مكّي بن عوف، وعطيّة بن مسلم اللخميّ، وحسين بن ياسين الصعيديّ، وشبيب العلاّف الأزدي، وعبد الله القاضي المالكيّ، فإنهم خرجوا معه إلى القاهرة. فدخل على الأفضل ابن أمير الجيوش يوم الاثنين ثامن رجب، فأكرمه وفرح به. ولم يبق متولّي الثغر غير شهر حتى ورد عليه كتاب الأفضل بعزله، فخرج باكياً حزيناً في مثل اليوم الذي خرج فيه الطرطوشيّ. وكان اسمه جوهر. من جملة الأرمن الموالي، وقرّر الأفضل للطرطوشيّ عشرة دنانير في كلّ شهر من جوالي النصارى. وأعطاه المحرس المعروف بالشرف، وما برح بمصر حتى قُتل الأفضل، وولي أبو عبد الله محمد بن فاتك الوزارة من بعده. فأذن له في الانصراف إلى الاسكندريّة، وأكرمه، وأضاف إليه عشرين فدّانا من البهنسى بالصعيد، كانت لأبي شبل المعقليّ الزعبيّ العابد بجزيرة الاسكندريّة. ثمّ توفّر له أيضاً بعد عوده إلى الاسكندرية خمسة دنانير في كلّ شهر من الخمس الروميّ. فسأل القاضي مكين الدولة أبا طالب أحمد بن حديد أن يجعلها على الجوالي.

وقال المنذري وقد ذكر وفاته: وصلّى عليه ولّده محمد بن محمد بن الوليد، وحضر القاضي الموفّق بن الموفّق أبو الفتوح متولّي الاحكار والأشراف بالاسكندرية. ولم يتمكّن الناس من دفنه لكثرة من صلّى عليه. وعمره تسع وستون سنة. وكان استوطن الاسكندرية في حدود سنة تسعين وأربعمائة.

وكان من الأئمة المشهورين، والزهّاد المذكورين. ودرّس بالثغر وألف كتاب«تعليق الخلاف» وكتاب«سراج الملوك»، وكتاب«الحوادث والبدع» كتاب«برّ الوالدين»، وكتاب «العمدة في أصول الفقه»، وكتاب«تحريم الغناء»، وكتاب«الزهد والتصوّف»، وكتاب«السعود في الردّ على اليهود».

# حواشي اتعاظ الحنفا

١ـ لك عند ياقـوت : « بلدة من نواحي برقة بين الاسكندرية وطـرابلس الغرب » وأكد هذا ابن الاثير في اللباب

٢ـ أي تولـى الاشراف على أحد الدواوين ، والمشـرف مثل الناظر ، ويختلف عنـه أنه يحتفظ بمستخرج الـديوان تحت حـوطته في خـزانته انظـر قوانين الـدواوين للاسعـد بن مماتـي ـ ط . القاهرة ١٩٩١، ص ٣٠٢.

٣ ـ يريد به أفتكين ، وتقدم من قبل أنه نصر الدولة

٤ـ فراغ بالأصل بمقدار كلمة

٥ـ ماتزال بقايـارقاد، عاصمة الاغالبة، قائمة على بعد حـوالي الاثني عشر كم عن القيروان ، ووصفت في وقتها بالجمال الفائق.

٦ـ فراغ بالاصل

٧ـ عز الدولة هو نصر بن علي بن مقلد.

٨ـ هي ابنـة الحسين بن زيد بن الحسين علي بـن أبي طالب ، تزوجت مـن اسحق بن جعفر الصادق ، لقيها ـ من وراء حجـاب الامام الشافعي ، وقيل انها صلت عليه اثر وفـاته، توفيت بعده بأربع سنوات أي سنة ٢٠٨ هـ ودفنت بمنزلها الذي بات من زيارات مصر المشهورة.

الزيارات للهروي ـ ط . دمشق ١٩٥٣ ص ٣٥. خطـط السخاوي ـ ط . القاهرة ١٩٣٣٣٧ ص ١٢٥ ـ ١٣٦.

٩ـ كتب هذا النص الهام على ورقة مفردة وردت داخل المخطوط.

١٠ـ في هامش الأصل « كذا بخط مؤلفه» ، وتداركنا الأمر كتبناه بين الحاصرتين.

١١ـ في هامش الاصل « أمير الجيوش المستنصري»

١٢ـ فـي هامش الأصـل : « بياض نحو أربعـة أسطر» وكـان المقريـزي مثله مثل غيـره من المصنفين اعتاد على ترك بعض الاماكن الفارغة لاضافة معلومات مستجدة.

١٣ـ في هامش الأصل : بياض نحو ثلث صفحة.

١٤ـ فراغ بالأصل يمكن تقدير احدى كلماته « فنزل»

١٥ـ بالأصل « دولة » وهو تصحيف.

١٥ـلقب أضفـاه الفاطميـون على حكام النـوبة من أمـراء ربيعة. انظـر تاريخ دولـة الكنوز الاسلامية لعطية القوصي ـ ط . القاهرة ١٩٧٦ص ٥٥ ـ ٥٧. مملكة ربيعة العربية في وادي النيل لعوض خليفات ـ ط. عمان ١٩٨٣ ص ٨٠ ـ ٨٢.

١٦ـ المقور: الشيء الذي قطع من جوانبه. القاموس.

١٧ـ قـال المقريـزي في خططه ج٢ ص ٣٥٢ ( ط. العـرفان ـــ بيروت): « وكان للفـاطميين منظره تعرف بقصـر اللؤلؤة وبمنظره اللؤلـؤة على الخليج بالقرب من باب القنطـرة ، وكان قصرا من أحسن القصور وأعظمها زخرفة، وهو أحد منتزهات الدنيا»،

١٨ـ كـذا بالأصل وفيه وهم ، فـالذي تولى التـوزيع السلطان مسعود الاول ، وقد ذكـر هذا الموضوع فيما تقدم من مجلدات موسوعتنا اكثر من مرة

١٩ـ لاتتوافق هذه الرواية مع ما قدمه ابن القلانسي في تاريخ دمشق ص ٢٦١ ـ ٢٦٣.

٢٠ـ من الـواضح ان المقريزي ينقل هنـا عن ابن القلانسي ص ٢٦١، وفـي الحقيقة ان ابن صنجيل هو برتراند الابن الأكبر لريموند الصنجيلي .

٢١ـ بالأصل : فأتاهم ، وهو تصحيف

٢٢ـ في هامش الاصل : بياض ربع صفحة.

٢٣ـ كـان من منتزهات الخلفـاء ، وسبب فتحه أن الماء كـان لايصل الى البلاد الشـرقية الا بصعوبة وبشكل غير كاف. خطط المقريزي ج ٢ ص ٣٨٥ ـ ٣٨٧.

٢٤- زيد ما بين الحاصرتين من تاريخ دمشق لابن القلانسي ص ٣٠٠، وكان موضع الاضافة بالأصل فارغا.

٢٥- كان باب الزهومة أحد أبواب القصر الشرقي الكبير من الجهة الغربية، حيث كان خدم القصر يدخلون الاطعمة واللحوم، والزهومة : الزفر. نصوص من أخبار مصر لابن المأمون ط . القاهرة ١٩٨٣ ص ١٦. خطط المقريزي ج ٢ ص ٢٩٨.

٢٦- نقدم ذكره في المنتقى من ابن ميسر.

٢٧- بهامش الأصل : بياض نحو الورقة . بياض نحو صفحة.

٢٨- كان باب الخوخة أحد أبواب القاهرة في سورها الغربي المطل على الخليج . ابن المأمون ص ٣٧.

٢٩- كان يقال لها قاعة الذهب وقصر الذهب، وهي احدى قاعات القصر الكبير بنيت أيام العزيز ثم جددت أيام المستنصر ، كانت الخلفاء تجلس فيها أيام المواكب ، وبها كان يعمل سماط شهر رمضان وسماط العيدين ، وبها كان سرير الملك . خطط المقريزي بها ص ٢١٤.

٣٠- المأمون البطائحي الذي سيرد ذكره.

٣١- من انواع الستائر.

٣٢- كانت بالأصل خزانة للسلاح والرايات والأعلام ، ثم تحولت لتكون سجنا لكبار شخصيات الدولة وفيها كان يعدم بعضهم ويدفن . خطط المقريزي ج٢ ص ٢٧٧ - ٢٨١.

٣٣- أريد بالطيافير أحيانا الآنية الكبيرة، أو الصحون المقعرة، وأحيانا أخرى الموائد الحاملة لعدد من الآنية . نزهة المقلتين لابن الطوير - ط . بيروت ١٩٩٢ ص ١٣١.

٣٤- من ابواب القصر الشرقي الكبير ، وقيل له باب العيد لأن الخليفة كان يخرج منه في يومي العيد الى المصلى بظاهر باب النصر . خطط المقريزي ٢ ص ٢٩٧

٣٥- سورة الأنعام - الأية .

٣٦- طوله ثلاثة اشبار بشبر رجل معتدل . صبح الاعشى - ط. وزارة الثقافة المصورة عن الطبعة الأميرية - القاهرة ج ٣ ص ٤٤٢- ٤٤٣.

٣٧- وصف المقريزي في خططه هذه المناظر ج ٢ ص ٣٧٤ - ٣٧٥.

٣٨- انظر وصفه في خطط المقريزي ج ٢ ص ٣٨٤ - ٣٨٥.

٣٩- كانوا من ارباب الوظائف الخاصة بالخليفة ، وعرفوا بالمحنكين لأنهم يدورون عمائمهم على احناكهم كما تفعل الغرب والمغاربة، وكانت عدتهم تزيد على الألف . صبح الأعشى . ج٣ ص ٤٧٧.

٤٠- في هامش الأصل : الميمذي : نسبة الى ميمذ- بفتح الميمين ، بينهما ياء، آخر الحروف ، وفي آخرها ذال معجمه — وهي كورة من كور أذربيجان ، قاله الرشاطي. وكان لأبي الفضل ان ينشيء ما يصدر عن ديوان المكاتبات ويحررما يؤمر به من المهمات.

٤١- القاضي ابو الفتح محمود بن اسماعيل بن حميد الفهري . خريدة القصر وجريدة العصر للعماد الاصفهاني - قسم مصر، ط. القاهرة ١٩٥١ ج١ ص ٢٢٦- ٣٣٤.

٤١- انظر حوله صبح الاعشى ج ٢ ص ٣٦١. خطط المقريزي ج ٣ ص ٢٥٥.

٤٢- في هامش الأصل : بياض نحو نصف صفحة.

٤٣- أول الثمر للنخلة : طلع ، ثم خلال، ثم بلح، ثم بسر، ثم رطب، ثم تمر . عن الصحاح للجواهري

٤٤- السجيل ثوب لايبرم غزله، والحيل على قوة واحدة، وثوب ابيض . القاموس

٤٥- السليب : المستلب العقل ، وامرأة سليب: مات ولدها ، وشجرة سليب: سلبت ورقها واغصانها، والسلب: أطول أداة الغدان، وشجر طويل ، ومن القصبة قشرها القاموس.

٤٦ــ كان قصر اللؤلؤة على الخليج ، من أحسن القصور وأعظمها زخرفة . وهو أحد منتزهات الدنيا. خطط المقريزي ج ٢ ص ٣٥٢.

٤٧ــ هي مشاهد : زين العابدين والسيدة نفيسة والسبعة التي تزار بالقرافة . خطط المقريزي ج ٣ ص ٣٣٤ـ ٣٥٢.

٤٨ـ انظر خطط المقريزي ج ٢ ص ٣٩١

٤٩ـ هي ليالي : أول رجب ، وليلة نصفه، وليلة أول شعبان، وليلة نصفه . خطط المقريزي ج ٢ ص ٣٩٠.

٥٠ـ الخشكنان خير يابس ، بقسماط، وبات يعرف بمصر باسم خشتنان، وهو نوع من الحلوى مصنعة من الرقائق المجوفة المملوءة باللوز او الفستق، أما البستندود فطعام يصنع من الدقيق والبلح . صبح الاعشى ج ٣ ص ٥١٠.

٥١ـ انظر حول اسمطة رمضان ثم الفطرة وحلوى العيد ، صبح الاعشى ج ٣ ص ٥٢٤ ـ ٥٢٥. خطط المقريزي ج ٢ ص ٢١٧ ـ ٢١٨، ٢٨١ ـ ٢٨٣ ، ٣٢٣ ـ ٣٢٤.

٥٢ـ المال الذي كان يحصله الداعي الذي كان يواصل الجلوس بالقصر بدعوة الأولياء وشيوخ الدولة ومن يختص بالقصور وعوام الناس والطارئين على البلد والنساء. خطط المقريزي ج ٢ ص ٢٢٤ـ ٢٣٤

٥٣ـ عرف ايام المقريزي باسم جامع الاولياء بنته أم الخليفة العزيز سنة ٣٦٦ هـ خطط المقريزي ج ٣ ص ٢٧٥ ـ ٢٧٨

٥٤ـ انظر خطط المقريزي ج ٢ ص ٣١٠ حيث تحدث عن حجر غلمان الخلفاء لكنه لم يذكر حجرا خاصة بالجواري .

٥٥ـ بالاصل اقام احمد بن المستعلى. وابن زائدة.

٥٦ـ بهامش الأصل : بياض ثلث صفحة.

٥٧ـ كانت معدة من اعمال الوجه البحري بين الفسطاط والاسكندرية . القاموس الجغرافي للبلاد المصرية ـ ط . القاهرة ١٩٩٤ ج ١ ص ٢١٧.

٥٨ـ ذكر ابن الجيعان في كتاب التحفة السنية بأسماء البلاد المصرية « منية زفيتي جواد» بين ما كان يتبع ثغر دمياط . ط القاهرة ١٩٧٤ ص ٩٦

٥٩ـ طبع اكثر من مرة آخرها بدار رياض الريس ـ لندن ١٩٩٠

٦٠ـ ربما جمع دواة.

٦١ـ بالفارسية : كوة ، نافذة فتحه لتجديد الهواء.

٦٢ الأموال التي كانت تجبى كجزية على المعاهدين. صبح الاعشى ج ٣ ص ٤٥٨. قوانين الدواوين ص ٣١٧ ـ ٣١٩.

٦٣ـ المواريث الحشرية : مال من يموت وليس له وارث خاص : بقرابة او نكاح اوولاء او باقي بعد الفرض من مال من يموت وله وارث ذو فرض لايستغرق جميع المال ولا عاصب له. صبح الاعشى ج ٣ ص ٤٦٠. قوانين الدواوين ص ٣١٩ ـ ٣٢٤

٦٤ـ سورة الأنفال ـ الآية :٧٥.

٦٥ـ مدينة كانت عامرة بالناس من مدن الصعيد ، شهرت بالنسيج . القاموس الجغرافي للبلاد المصرية ق ٢ ج ٣ ص ٢١١ ـ ٢١٢.

٦٦ـ انظرهما في خطط المقريزي ج ٢ ص ٣٢٣ ـ ٣٢٤

٦٧ـ بهامش الاصل : « وبخطه، ابو جعفر يوسف بن أحمد بن حسدية الاسرائيلي الاندلسي أحد أعلام فضلاء اليهود الأطباء اسلم في القاهرة واختص بالمأمون ، وترجم بعض كتب ابقراط وصنف كتابا في المنطق ومات في حدود الثمانين . وكان فيه دعابة»

٦٨ ـ انظر حول الاحتفال به الخطط للمقريزي ج ٢ ص ٣٩٤.

٦٩ـ كان بناحية الخاقانية ، وهي قرية من قرى قليوب . خطط المقريزي ج ٢ ص ٣٨٧

٧٠ـ كان للخلفاء الفاطميين اعتناء بليلة أول محرم في كل عام ، وكان من رسومهم صنع اطعمة كثيرة وحلويات كانت توزع على رجالات الدولة . خطط المقريزي ج ٢ ص ٣٨٩

٧١ـ كان الفاطميون يتخذونه يوم حزن تتعطل فيه الاسواق ، ويعمل فيه السماط العظيم المسمى سماط الحزن . خطط المقريزي ج ٢ ص ٣٨٩ ـ ٣٩٠

٧٢ـ بقي تقليد العماريات حتى الامس القريب وكان يحتفل به في حماه ، والعمارية هودج توضع عليه دمية البست أفخر الثياب ووضعت عليها الحلي الذهبية الثمينة ، وفي ذلك رمز للظعينة والدفاع عنها أو غير ذلك.

٧٣ـ أي مقدم

٧٤ ـ الجام : اناء من فضة. القاموس : وقد اورد المقريزي هذه الحكاية في خططه ج ٢ ص ٣٨٢

٧٥ـ بناه الخليفة الحاكم ، وكان يخرج منه للتوجه الى مقس النيل وموضعه اليوم مدخل حارة بيت القاضي تجاه جامع الملك الكامل بشارع بين القصرين . صبح الاعشى ج ٣ ص ٣٤٦ خطط المقريزي ج ٢ ص ٢١٨.

٧٦ـ غالبا ما كان المنديل يستخدم لشد الوسط . انظر صبح الاعشى ج ١٣٢

٧٧ـ من أنواع الحرير الملون الفاخر . صبح الاعشى ج ٣ ص ١٣٢

٧٧ـ من انواع

٧٨ـ ـ السيدة اروى الصليحية ابنة أحمد [ ٤٢٤ ـ ٥٣٢ هـ / ١٠٥٢ ـ ١١٣٨] ملكة حازمة مدبرة ذات شهرة واسعة ـ الاعلام للزركلي

٧٩ـ المجالس سجلات دروس الدعاة بعد موافقة الامام عليها.

٨٠ـ الرباع السلطانية : الاملاك من عقارات وسواها وخاصة في مدينة القاهرة التي كانت جل بيوتها وعقاراتها ملك للدولة ، وقد شكلت ايجاراتها موردا هاما للخزينة.

٨١ـ بعد وفاء النيل وبلوغه ستة عشر ذراعا تجري الاستعدادات للاحتفال باسالة الماء وذلك بكسر الخليج في اليوم الثالث او الرابع من يوم التخليق ومما يحدث في يوم التخليق ان يسير العشاري الذي يركبه الخليفة في النيل من المنظرة المعروفة برواق الملك الى باب المقياس العالي على الدرج ، فيطلع من العشاري ويدخل الى الفسقية التي فيها المقياس ، والوزير والأستاذون والمحنكون بين يديه، ويصلي هو والوزير ركعتين كل منهما بمفرده ، ثم يؤتى بالزعفران والمسلك فيتناوله صاحب بيت المال ويعطيه لابن أبي الرداد، فيلقي بنفسه في الفسقية بثيابه ، فيتعلق بالعمود برجليه ويده اليسرى ويخلقه بيده اليمنى والقراء يقرأون القرآن.

ثم يخرج الخليفة الى العشاري فيركبه الى دار الملك ومنها يركب الى القاهرة ، وفي كسر الخليج بعد ثلاثة ايام أو اربعة تنصب الخيمة الكبيرة المعروفة بالقاتول للخليفة في البر الغربي عند منظرة السكرة وحولها الخيام المختلفة الاحجام على قدر مراتب الامراء والمتفرجين.ثم يركب الخليفة في موكبه العظيم الكامل الأبهة حتى يتنهى بعد زيارات متتابعة الى منظرة السكرة بقرب الخيام المنصوبة ، ثم يطل استاذ محنك فيشير بيده بفتح السد فيفتح بالمعاول وتضرب الطبول والابواق من البرين . ثم ينصب السماط ، ثم تتهادى العشاريات اللطاف ووراءها العشاريات الكبار في الخليج بعد اعتدال الماء فيه ، واثر هذا يعود الخليفة بعد صلاة العصر الى قصره بالموكب المعتاد. صبح الاعشى ج ٣ ص ٥١٢ـ ٥١٧، خطط المقريزي ج٢ ص ٣٥٧ـ ٣٧٢

٨٢ـ سلفت الاشارة الى ان الافضل بن بدر الجمالي هو الذي بعث نجيب الدولة الى اليمن سنة ٥١٣ هـ لتأييد الملكة الحرة.

٨٣- ذكرها القلقشندي بين فرعي النيل في الوجه البحري واشتملت الاولى على المنوفية والغربية. وامتدت الثانية في بحر ابيار حتى الفرع الغربي من النيل وعرفت بجزيرة بني نصر. صبح الاعشى ج٣ ص ٨٨ - ٨٩.

٨٤- صاقبت الدقهلية والمرتاحية عمل الشرقية من جهة الشمال الى السباخ والى بحر تنيس .. صبح الاعشى ج ٣ ص ٤٠١ - ٤٠٢

٨٥- نزهة المقلتين لابن الطوير - ط . بيروت ١٩٩٢ ص ١١ - ١٦

٨٦- استخراج المال وقبضه وكتابة الوصولات به . قوانين الدواوين ص ٣٠٤

٨٧- عدت الضرائب غير الشرعية مكوسا . صبح الاعشى ج ٣ ص ٤٤٨- ٤٦٧

٨٨- الخاقانية قرية من قرى قليوب ، كان من خاص الخليفة وبها جنان كثيرة للخليفة ، وكانت من احسن المنتزهات المصرية . خطط المقريزي ج ٢ ص ٣٨٧.

٨٩- الرهاويج من الخيل : السريعة فلسرعتها تثير الغبار . القاموس .

٩٠- هي الآن بمنطقة العباسية في القاهرة ، وكانت بالاصل بستانا لريدان الصقلبي أحد خدام العزيز بالله نزار . خطط المقريزي ج ٣ ص ٢٤

٩١- كان الآمر قد بلي بعشق الجواري العربيات وصارت له عيون بالبوادي فبلغه أن جارية بالصعيد من اكمل العرب واظرفهم شاعرة جميلة،فتزيا بزي الاعراب وكان يجول في الاحياء الى ان انتهى الى حيها،وتحيل حتى عاينها فما ملك صبره، وعاد الى دار ملكه وارسل الى اهلها يخطبها وتزوجها فلما وصلت صعب عليها مفارقة ما اعتادته واحبت ان تسرح طرفها في الفضاء حتى لا تنقبض نفسها تحت حيطان المدينة، فبنى لها البناء المشهور في جزيرة الغسطاط وكان غريب الشكل،ولكنها ظلت مغلقة الخاطر بابن عم لها يعرف بابن مياح فكتبت اليه:

يابن مياح اليك المشتكي ... مالك من بعدكم قد ملكا
كنت في حي مطاعا آمراً ... نائلا ما شئت منكم مدركا
فأنا الآن بقصر مرصد ... لا ارى الا خبيثا ممسكا

فأجابها ابن عمها:

بنت عمي والتي غذيتها ... بالهوى حتى علا واحتبكا
بحت بالشكوى وعندي ضعفها ... لو غدا ينفع منا المشتكى
مالك الأمر إليه أشتكي ... مالكا وهو الذي قد ملكا

خطط المقريزي ج٢ ص ٣٨١.

٩٢- الجلبة ( ج - جلاب) سفن تجلب التجار والبضائع في البحر الاحمر

٩٣- الجسر هنا الذي وصل بين الفسطاط وجزيرة الروضة وبين جزيرة الروضة وبر الجيزة وكان معمولا من مجموعة من المراكب المربوطة الى بعضها والمغطاة بالواح من الخشب فوقها طبقة من التراب .خطط المقريزي ج ٣ ص ٧٠- ٧٢

٩٤- هي المدينة في الاعمال الدقهلية . ابن الجيعان ص ٤٦- ابن مماتي ص ٨٩

٩٥- الغفارة : المعطف

٩٦- كذا بالاصل والاصح بالسين

٩٧- سورة الواقعة - الآية ١٠٠

٩٨- مار يمورمورا ، والمور : الموج والاضطراب والتحرك ، القاموس.

٩٩-قيل له باب العيد لأن الخليفة كان يخرج منه لدى مغادرته القصر الكبير متوجها الى المصلى بظاهر باب النصر . خطط المقريزي ج ٢ ص ٢٩٧.

١٠٠- كان الحجرية جماعة من الشباب يناهزون خمسة آلاف نفر يقيمون في حجر منفردة لكل حجرة منها اسم يخصها ، وكانت حجرهم بمعزل عن القصر بجوار دار الوزارة. صبح الاعشى ج ٣ ص ٤٧٧ خطط المقريزي ج ٢ ص ٣١٠ - ٣١٢

١٠١ـ كان حبس المعونة بالقاهرة قبل جامع عمرو بن العاص : كان يسجن فيه ارباب الجرائم من العامة،حوله صلاح الدين فيما بعد الى مدرسة باتت تعرف بالشريفية وكان الخاصة يسجنون بخزانة البنود في قصر الخلافة الكبير بالقاهرة . خطط المقريزي ج ٣ ص ١٠٠ـ ١٠١.

١٠٢ـ انظر حولها خطط المقريزي ج ٣ ص ٣٥٢.

١٠٣ـ هو أحد ابواب القصر الغربي الصغير . خطط المقريزي ج ٢ ص ٣٣٧

١٠٤ ـ نسب الجيوشية الى امير الجيوش بدر الجمالي ويرجح انتساب الريحانية الى عزيز الدولة ريحان ، وكان قد تولى اخماد ثورة بني قره أيام المستنصر . خطط المقريزي ج ٢ ص ٤٢٨ ـ ٤٣٠.

١٠٥ ـ معجم السفر للسلفي ـ ط اسلام اباد ١٩٨٨ ص ٤٣ـ ٤٤

١٠٦ـ خطط المقريزي ج٢ ص ٤٢٨ـ ٤٣٠

١٠٧ ـ كانت قوص مدينة جليلة من البر الشرقي من النيل ذات ديار فائقة ، ورباع انيقة ومدارس وربط وحمامات ، يسكنها العلماء والتجار وذوو الاموال ، وبها البساتين والحدائق المستحسنة ولها عمل متسع ينتهي آخره الى أسوان .صبح الاعشى ج ٣ ص ٣٩٦ ـ ٣٩٧

١٠٨ـ انظر ترجمته في الخريدة ـ قسم مصر ـ ج ٢ ص ١ ـ ١٧

١٠٩ـ ماتزال تحمل الاسم نفسه في جمهورية تونس

١١٠ـ في هامش الاصل : « بياض سطر»

١١١ـ مدينة قديمة حسنة في اقليم الغربية . الانتصار لواسطة عقد الامصار لابن دقماق ، ط بيروت دار الآفاق الجديدة ص ٩١

١١٢ـ قرية بمصر على شط النيل الشرقي على بحر رشيد معجم البلدان

١١٣ـ انظر خطط المقريزي ج ٢ ص ٤١٨.

١١٤ـ حول حارة الحسينية انظر خطط المقريزي ج ٢ ص ٤٣٣ ـ ٤٣٥

١١٥ـ وصفها المقريزي وحدد مكانها في خططه ج ٣ ص ٤٢٥ ـ ٤٣٢

١١٦ـ سملوط من مدن الصعيد ، تقع غربي النيل على بعد نحو خمسة وعشرين كليو مترا الى الشمال من مدينة المنيا .معجم البلدان.قوانين الدواوين ص ١٥١ ، ١٧٠

١١٧ـ ابوان : قرية بالصعيد الادنى غربي النيل، وتعرف بابوان عطية.قوانين الدواوين ص ١٠٤ـ ١٠٥

١١٨ـ من اعمال الصعيد تتبع الان مركز بني مزار بمحافظة المنيا معجم البلدان قوانين الدواوين ص ١٧٠

١١٩ـ من اعمال الجيزة قوانين الدواوين ص ١٠٢

١٢٠ـ كان الاشراف زمن الفاطميين على دار الضرب يسند الى قاضي القضاة وللقاضي ان ينيب عنه في مباشرة شؤون دار الضرب من يختاره من نوابه ثم اصبحت دار الضرب تحت اشراف ناظر الخاص بعد الغاء الوزارة . صبح الاعشى ج ٣ ص ٤٦١ ـ ٤٦٢ .قوانين الدواوين ص ٣٣١ ـ ٣٣٣

١٢١ـ كان يقال له ايضا ديوان العمائر ، وكان محله بدار الصناعة بمصر وفيه انشاء المراكب للاسطول وحمل الغلال السلطانية والاحطاب وغيرها ، ومنه ينفق على رؤساء المراكب ورجالها . صبح الاعشى ج ٣ ص ٤٩٢.

١٢٢ـ اختص ديوان النظر بالاشراف على ارزاق ذوي الاقلام وغيرهم يتولى عرضها على الخليفة والوزير واليه طلب الاموال واستخراجها والمحاسبة . عليها قوانين الدواوين ص ٢٩٨ ـ ٣٠٠ . صبح الاعشى ج ٣ ص ٤٨٩ خطط المقريزي ج٢ ص ٢٤٠

١٢٣ـ المحول هو مجلس الداعي ، ويدخل اليه من باب الريح وبابه من باب البحر ويعرف بقصر البحر. وكان في اوقات الاجتماع يصلي الداعي بالناس في رواقه . خطط المقريزي ج ٢ ص ٢٢٣ ، ٢٩٤ ـ ٢٩٧

١٢٤ـ تدعوه العامة قصر الشوق وكان أحد أبواب القصر . خطط المقريزي ج ٢ ص ٢٤٦

١٢٥ـ ظاهر القاهرة عمره جوهر الصقلبي عوضا عن دير هدمه في القاهرة كان بالقرب من الجامع الاقمر . خطط المقريزي ج ٣ ص ٤١٨

١٢٦ـ رطل بالمصري، والرطل المصري مائة درهم واربعة واربعون درهما او اثنتا عشرة اوقية . قوانين الدواوين : ٣٦٥ ـ ٤٥٥

١٢٧ـ في خريدة القصر قسم شعراء مصر : ٢ : ٦٤ ـ ٦٥ تعريف موجز به ويتضمن ابياتا خمسة من شعره منها البيتان المذكوران هنا

١٢٨ـ هو نصر الله بن عبد الله بن علي بن الازهري ، شاعر اسكندري [ ٥٣٢ ـ ٥٦٣هـ] رحل الى صقلية وأقام بها نحو عامين ، ثم عاد منها ليرحل الى اليمن حيث اقام بها مدة ، وقد توفي بعيذاب في طريق عودته . الخريدة ـ قسم مصر ـ ج ١ ص ١٤٥ ـ ١٦٥

١٢٩ـ ولد بأسوان ورحل الى مصر واتصل بوزرائها وخلفائها ، ومدحهم فتقدم عندهم ارسله الحافظ الى اليمن داعيه له فيقال انه دعا لنفسه وضرب السكة باسمه، فقبض عليه وارسل الى مصر ، فعفا الخليفة عنه وهو ابن اخت الموفق ابن الخلال كاتب الانشاء للفاطميين ترقي في الخدمة حتى تولى نظارة ديوان الاسكندرية سنة تسع وخمسين وخمسمائة في وزارة الصالح طلائع بن رزيك ، وقتله شاور في وزارته لميله الى اسد الدين شيركوه. خريدة القصر قسم شعراء مصر ج ١ ص ٢٠٠ ـ ٢٠٢

١٣٣ـ أبويط من القرى القديمة من الاعمال البوصيرية أو من الاعمال البهنساوية . القاموس الجغرافي ، ق ٢ ج٣ ص ١٢٥.

١٣٤ـ دهشور من القرى القديمة ، واقعة في جنوب منف.القاموس الجغرافي ق٢ ج٣ ص ٤٣.

١٣٥ـ كانت صول قرية واقعة على فم الخليج المتصل بأرض الفيوم ، واسمها الان المندرة بحري . القاموس الجغرافي ق ٢ ج٤ ص ٤٢

١٣٦ـ سلفت الاشارة الى ان رضوان بن ولخشي كان أول من تلقب بلقب ملك .

١٣٨ ـ على مقربة من غزة

١٣٩ـ في هامش الاصل : بياض ربع صفحة

١٤٠ـ سورة البقرة ـ الآية : ١٣٠

١٤١ـ ديوان طلائع بن رزيك ـ ط النجف الأشرف ١٩٦٤ ص ٥٨ مع فوارق ، وانظر ايضا سورة البقرة ـ الآية : ٥٨ قوله تعالى « وادخلوا الباب وقولوا حطة»

١٤٢ـ ليسا في ديوانه المطبوع.

١٤٣ ـ بهامش الأصل وبخطه « شاور بن مجير بن سوار بن عشائر بن شاس بن مغيث بن حبيب بن الحارث بن سعد بن مخيس بن أبي ذؤيب عبد الله والد ذؤيب والدحليمة بنت أبي ذؤيب»

١٤٤ـ بهامش الأصل : بخطه « الارتاحي هو ابو محسن علي بن خير بن محمد بن عبد الله ابن مفرج الارتاحي المذحجي العابر ، ولد في سنة اربع وثمانين واربعمائة بمصر ومات بها في ثامن عشر جمادى الآخرة سنة تسع وستين وخمسمائة.

١٤٥ـ في هامش الأصل بخطه « ما نزل شاور دار الذهب وترك دار الوزارة بينه وبين شيركوه ... طمع... يستخدمهم ، فلما تحقق شيركوه من ...»

١٤٦ـ بهامش الأصل بياض صفحة

١٤٧ـ قرية بالصعيد الأدنى غربي النيل الى جوار اشنين ؛ معجم البلدان

١٤٨ـ من اقليم الغربية يتفرع عندها النيل الى فرعين باتجاهي : تنيس ورشيد . معجم البلدان

١٤٩ ـ بهامش الأصل : بياض سطرين

١٥٠ـ بهامش الأصل : بياض صفحة وبالنسبة للقاضي الجليس انظر الخريدة ـ قسم مصر ـ ج ١ ص ١٨٩ ـ ٢٠٠

١٥١ـ من الاعمال الاطفيحية . قوانين الدواوين ص ١٣٨

١٥٢ـ في الصعيد الادنى في شرقي النيل من أعمال كورة البهنسا . معجم البلدان.قوانين الدواوين ص ١٥٨.

١٥٣ ـ من أعمال الأشمونين . معجم البلدان . قوانين الدواوين ص ١٤٠

١٥٤ـ كانت تجاور بركة الحبش.

١٥٦ـ قريبة من بلبيس ، على الطريق بين القاهرة وغزة . معجم البلدان

١٥٧ـ بهامش الأصل : بياض صفحة

١٥٨ـ بلد شرقي النيل من اعمال الصعيد يسكنها عرب من بلي

١٥٩ـ بهامش الأصل : بياض صفحة ونصف.

١٦٠ـ رمضه : اشتد حره ، والترمض: غثيان النفس : القاموس .

١٦١ـ سلف للمقريزي قبل اسطر ان ذكر أولاد العاضد على انهم ثلاثة عشر، وأعاد الآن ذكرهم فجاءوا ستة عشر ويشير هذا الى أن المقريزي صنف كتابه كمسودة ، ولم يعد النظر به.

١٦٢ـ كذا والصحيح « عبد الله» .

١٦٣ـ النجوم الزاهرة في حلى حضرة القاهرة ـ القسم الخاص بالقاهرة من كتاب المغرب في حلى المغرب ـ ط . القاهرة ١٩٧٠ ص ٩٨ ـ ١٠٠ مع فوارق

١٦٤ـ لقبوه: الحامد لله وقد توفي في زمن العادل سيف الدين ابو بكر بن أيوب في الحبس، فقيل انها صارت من بعده لابنه سليمان بن داود بن العاضد، وكانت أمه قد ولدته بالصعيد حتى لايقع في ايدي الايوبيين ، فعلم الملك الكامل ابن العادل بخبره فظفر به وحبسه بقلعة الجبل ، وتوفي بها في سنة خمس واربعين وستمائة ايام الصالح نجم الدين بن الكامل . مفرج الكروب في أخبار بني أيوب ـ الجزء الأول ـ ط القاهرة ١٩٥٧ ص ٢١٠ ـ ٢١١

١٦٥ـ هي الدار التي انشأها بدر الجمالي لتكون سكنا له ومقرا لوزارته ، فلما جاء من بعده ابنه الافضل أنشأ دارا جديدة عرفت بدار الوزارة وظلت المقر الرسمي للوزارة الى أواخر الفاطميين . خطط المقريزي ج٢ ص ٣٠٢ ـ ٣٠٤، ٤٠٤ ـ ٤٠٥.